دار قصص وحكايات
للنشر الإلكتروني ٢٠٢١

حروف مهاجرة

جيهان دانيال

.. قصص ..

حروف مهاجرة

قصص

جيهان دانيال

العنوان: حروف مهاجرة

النوع الأدبي: قصص

المؤلف: جيهان انيال

قوة السرد: كتابات إبداعية

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2021

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2021

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

أشباح الشاليه

(على رمال الشاطئ الذهبية كانا يتبادلان أطراف الحديث والبحر يسترق السمع لهما في هدوء مخيف قبل ان يخييم الظلام الموحش)

ـ ”والان أخبريني عن ماذا ستكتبين “ ؟

ـ ”قيل لي أن أكتب رواية عن الرعب “

ـ وهل لديك فكرة عماّ يكون الرعب ؟ ولديك الشجاعة للكتابة عنه؟ “

ـ” ليس ان كنت معي ثم انني لا املك عن الرعب سوى خرافات كنت اشاهدها عبر التلفاز او اقرؤها في الكتب والمجلات “

ـ ” مما يعني انك لم تقع ضحية رعب او موقف مخيف ؟ “

ـ”البتة لطالما كنت بجانب الاخرين فلا افارق من عائلتي احدا واذا ما كنت في احدى رحلات التخييم تجدني قرب رفيقاتي و حتى اليوم يضعك القدر في طريقي لتكون منقذي ومساعدى ثم ونيسي “

ـ”حسنا سأروى لك قصة قد تجدين فيها ضالتك كذلك حدثت وما زالت تحدث الى يومنا هذا وربما لايام لاحقة “

ـ ”جيد لقد شوقتني للاستماع “

(اقترب منها وطفق يقول بهمس)

في عمق الليل وهدوء البشرية صرخة نسائية حادة انبعثت مدوية ارجفت اواصر السيد هاشم الذي نهض من نومه مذعورا يجاهد نفسه في امساك اعصابه التي باتت تخونه في كل مرة فالامر بات لا يحتمل اضاء النور بجانب سريره وردد :

ـ" نورا نورا لا تخافي انه مجرد كابوس وانا هنا بجانبك "

اجابته بصوت مرتعد تقطعه الشهقة

ـ" ضمني اليك يا هاشم انهم هنا "

ـ هاشم" لا باس عزيزتي اهدئي خذي نفسا عميقا ريثما اسكب لك قليلا من الماء "

تناولت نورا كوب الماء ببطء وعيناها تجوبان ارجاء الغرفة بخوف شديد

ـ هاشم "لا شك انه نفس الكابوس كل ليلة "

ـ نورا" صدقني بت لا استطيع الاستمرار هكذا كل ليلة "

ـ هاشم "عزيزتي قلتي اريد تغيير وجهة السرير لعله موضع سيئ غيرتها ثم اردتي تغيير الغرفة فانتقلنا الى غرفة اخرى ثم ما ذا بعد ؟ هل ستبدل الشاليه بآخر "

ـ نورا" انهم هنا في كل مكان في كل ركن وهذه المرة يخططون لامرما قد يضرنا "

ـ هاشم" اسمعي عزيزتي غدا سنزور للدكتور باسم في عيادته "

ـ نورا" انا لست بمجنونة لست مجنونة انهم يريدون قتلنا اتفهمني هل تصدقني "

(دخلت في حالة هستيرية بدأ هاشم يهدؤها من جديد)

فجأة اضاءت جميع المصابيح الكهربائية من تلقاء نفسها ساد الصمت بين هاشم ونورا ثم لوهلة اخرى انطفات من جديد وغرق المكان في الظلام ارتعبت نورا فضمها هاشم اليه اكثر ثم فتح كشاف المحمول لا شئ يدعو للخوف لكن نورا ظلت جامدة لا حراك فقط كانت نظراتها تحدق في ركن الغرفة صوب السقف رغم الظلام رفع هاشم نظره الى الاعلى ليجد امراة معلقة في السقف يلف جسمها لحاف ابيض بالكامل تتدلى رقبتها من حبل وكأنها شنقت حديثا طبطب على نورا واغمض لها عينيها ثم انسحب من الفرش واستقام واقفا يجذب زوجته بذراعيه ويخوص برأسها بين احضانه حتى لا تشاهد المنظر كذلك اضاءت المصابيح من جديد وفي قراراته يقول:

ـ "انها مجرد هلوسات وتهيؤات لا حقيقة فيها "

لكن كلما تقدم خطوة نحو باب الغرفة للخروج كانت جثة المراة تتقدم معه ببطء وهي المعلقة في الهواء حتى فتح هاشم الباب ودلف الى الرواق المؤدي الى السلالم واطبق الباب خلفه موقنا ان الجثة بالداخل ودون سابق انذار سقطت الجثة امامه صرخت نورا لهول المنظر وطفقت تبكي ..كان يملك رباطة جأش وقوة تجلد وشجاعة مما تجعله مصرا على النزول عبر

السلالم بكل ثقة دون ان يكترث للجثة التى تدحرجت وسقطت اشلاؤها وترامت بين الدرجات اكمل هاشم طريقه حتى وصل الى الصالون و هو عبارة عن قاعة فسيحة بها ارائك للجلوس وغرفة معيشة اسرع ينادى البواب بصوت عال:

ـ هاشم " يا سالم .. سالم .. اين انت ؟ "

سمعه هذا الاخير رغم ان الوقت متاخر من الليل فاقبل حيث دفع الباب وولج الى القاعة ليجد هاشم ممسك بنورالتى ترتعد خوفا وهو متجمد في مكانه

ـ سالم "" نعم سيدي ما الذي يجرى؟ هل من خطب ؟ ارى انكما خائفين؟ "

ـ هاشم"...سالم البيت به اشباح وارواح "

ـ سالم" كلا سيدي مطلقا انه شاليه ممتع وآمن "

ـ هاشم"اذهب وتفقد السلالم وسترى الحقيقة انها اشلاء بشرية وقعت من السماء "

ـ سالم" ها ها ها .. السماء لا تمطر اجسادا ولا اشلاء "

لم يجد سالم شيئا يبعث للرعب وقد مشط المكان برمته فلم يجد ولو قطرة دماء واحدة جلس الزوجان على الاريكة بعد ان هدآ يقابلهم في الجانب الاخر سالم يروى لهم بعض النكات المخيفة

لكن الامر لم يسلم من الرعب فقد وقع ما لم يكن في الحسبان ففي ما هم كذلك حتى بدات الابواب تتراقص والنوافذ تصفق ناهيك عن الستائر

التى باتت ترسم هيأة اشخاص مشنوقون كان هاشم يحاول السيطرة على اعصابه لكن نبضات قلبه تتسارع فاحكم تطويقه لنورا انما سالم بدا له امر طبيعي ويعود مرد ذلك الى فعل الطبيعة فالجو خارجا صار باردا والرياح قوية علاوة عن اضطراب البحر ففي الساعات الاخيرة من الليل عادة ما يتغير الجو فلم يتبق من الوقت الا القليل لانبلاج الصباح وهل تظهر الارواح صباحا ؟وماهي الا بضع دقائق اخرى حتى احسوا برجة ارضية تلتها اصوات صراخ مدوى في كامل الشاليه ركضت نورا مسرعة ودون وعي منها الى الباب طلبا للهروب والنجاه لكنها شاهدت البحر يقترب منها وكأّن بالشاليه سسيغرق بالامواج العالية طلبت من زوجها ان يشاهد ذلك لم يكن ليصدق لكن الامر بات واضحا وجليا لا يقبل للتكذيب والدحض اقبل انور ليشاهد بعينيه فنصحهم بالدخول الى الشاليه والاحتماء به و المكوث في الغرفة بالاعلى لضمان سلامتهم لعلة تسونامي مفاجئ ركضا معا الى الغرفة وكان معهم سالم وكانت المفاجئة تنتظرهم مازلت جثة المراة معلقة بالهواء لكن هذه المرة تحمل بين يديها راسها الذى يقطر دماء لهول المنظر اغمي على نورا اما هاشم فاستدار الى سالم وقال له

ـ" ارأيت ذلك الان ؟ هل تصدقني ؟ "

ـسالم" نعم ارى ذلك بوضوح وليس الامر بمخيف حتى انني استطيع خلع راسي وحمله بين يدي انظر "

تجمدت الدماء في عروقه فلم يستطع الهروب وترك نورا او البقاء ومشاهدة المزيد من المفاجآت انها ليلة الرعب يحاول عقله استعاب الامور والبحث عن مخرج حاول جاهدا طلب النجدة لكن الغرفة طفقت تدور به جثى على ركبتيه وطوق نورا في حضنه ونظراته تتبع حركات سالم الذى طار في الهواء كما الجثة وبدآ يضحكان باصوات قهقهات قوية فيما كانت الجدران تلفظ اياد وارجل ورؤس و جذوع بشرية تحاول التخلص من الحائط وتنادي باسمي نورا وهاشم دون توقف فضلا عن الدماء التى كست الارضية والوجوه كان هاشم يردد بسرعة وقد اغمض عينيه

ـ" بحق الله اتركونا ..انتم لستم حقيقيون انتم لا تنتمون الى عالمنا اتركونا بسلام ... ارحلو عنا "

ثم فجأة هدات الجميع حتى صوت هاشم سكن ومعه نورا.

(سرعان ماخيم الليل وبدات البحر يداعب امواجه)

ـ سالم " تلك كانت النهاية "

ـ ثريا"لكنك تسرد قصتي "

ـ سالم "ومن قال غير ذلك انها رواية تناسبك تماما وانت بطلتها "

ـ ثريا"هذا عندما كنت على قيد الحياة "

ـ سالم" بل عندما كنا ..احياء اما الان فنحن احرار طلقاء لكنك في كل مرة تبتغين كتابة رواية رعب لم؟ هل تحبذين اخافة الناس؟

ـ ثريا"لانني ارى خوفي فيهم من المجهول .. ومن اللا معقول "

ـ سالم" لم لا نواصل اللعبة اذن؟

ـ ثريا"ليس اليوم غدا حكاية رعب جديدة "

ـ سالم" يجب ان تكوني هذه المرة اكثر اقناعا وتخويفا

ـ ثريا"هل تراني فشلت في تادية دور الجثة المعلقة "

ـ سالم"كنت اكثر منك اقناعا "

ـثريا" لنستبدل الادوار فلتكن انت الجثة وانا خادمة الشاليه "

ـ سالم" جيد الشاليه سيأجرغدا ولنبدأ معركة جديدة مع سكان جدد "

الـدولاب

كنت في غرفتي أضع سماعات الأذن وأصغي الى أغنيتي المفضلة بكل إمعان غير آبهة لما يدور حولي فلا الزمان يقيّدني ولا المكان يحتويني كنت مغمضة العينين أرقص بخطى متناغمة على وقع الاوتارالموسيقية أعيش اللحظة بانسجام تام وفي غمرة من التفاعل الجسدي والتناغم الروحي فتحت عيناي لأجد أمّى واقفة أمامي تحمل بيدها ملعقة خشبية كبيرة وترتدي مأزر الطبخ عاقدة الحاجبين ترمقني بنظرات سليطة غاضبة علمت لحيني أنّنى قد ارتكبت خطأ لا يحمد عقباه تسمرت في مكانى ورفعت سماعات هاتفي عن أذناي بعد أن أخفضت من صوت الموسيقى ثم قلت بصوت الخاشع والخائف

ـ "أهلا أمّي..كيف لي أن أساعدك؟"

نظرت اليّ بتأّمّل مخيف ثم أردفت

ـ "جّيد أنّك لاحظتي وجودي هنا .لقد مرت عشر دقائق وأنا أناديكي لكن لا حياة لمن تنادي فما تحسبين نفسك فاعلة وأنت في عالمك المجنون وكعادتك تستمعين وبصخب الى أغانيك غيرمبالية بما يدورحولك ؟"

ـ "اعذريني يا أمّاه فصدقا لم أسمعك انّه فعلا خطئي"

ثم اقتربت منها وغمرتها بحضن طويل وقبلات متتالية مجنونة كدت اقطع انفاسها حتى صارت تطلب الانعتاق والتحرر لحينها أردفت تقول بعدما

أحسست بحنانها وبهدوء غمر روحها

ـ "حسنا فقط أردتك منك أن تنظمي دولابك وفساتينك وكل ثيابك فلا طاقة لي بتنظيمه فقد صرتي مسؤولة الآن وغرفتك هي عالمك ووجب عليك أن تهتمي بكل محتوياتها وأولهم ذاك الدولاب الذي كلّما شاهدته وجدته يشتكي من اهمالك ويكاد يلفظ كل الملابس انّه حقّا يعانى ثورة عارمة ويغص من كثرة الثياب وأنت تكتمين جوفه برص درفتيه رصا فرجاء انقذيه"

ـ "حسنا أمّي أعدك بذلك سأهتم بترتيبه"

ـ جيّد سأعود للطبخ وحين أنتهي من اعداد الطعام سأعرّج عليك لأتحقق من كلامك وكلي ثقة انّك صرتي مسؤولة"

سرعان ما خرجت أمّي وأطبقت باب الغرفة خلفها حتى وجدتني أعود لاضع السماعات في أذني وأنهي رقصي وغنائي دون اهتمام لكن شئ ما بداخلي خفيّ يدفعني دفعا الى سماع كلمات اميّ المتكررة وهي تقول لا تنسي الدولاب الدولاب... وضعت السماعات فوق المكتب بعد أن أطفأت الموسيقي المنبثقة من هاتفي الجوال واتجهت صوبه (الدولاب) وقفت أمامه مباشرة وأنا أتأمّل صورتي بالمرآ ة وروحي تخاطبني بسخرية

ـ "ماذا لو فتحت درفتي الدولاب وغمرتني الثياب بشتى انواعها كشلال جارف أغرق في محيطه فيقطع أنفاسي ..لا بل ربما اذا فتحته سيلفظ وحشا عملاقا يبتلعني ...صدقا كم يحمل في احشائه من متاع هذا الدولاب

المسكين حتى ان أمّي رقّت لحاله واشفقت عليه"

فتحت الدرفتين بكل سرعة وكان فعلا ما توقعته وخشيت حدوثه حيث سقطت منه كل الثياب وغمرتني حتى الساقين لحيني جلست ضاحكة وأنا أنوى ترتيبه مددت يدي وأكملت جذب باقي الفساتين حتى صار فارغا تماما لكنّى لمحت أمرا بداخله ففي جانبه الايسر ازرارا لم أعهد وجودها من قبل زاد فضولي فأردت التحقق اكثر والتدقيق في سرهذه الازرار. في بادئ الأمر صعدت جبل الثياب المتكدس أمامي وأدخلت رأسي لأرى عن كثب

ـ" فعلا انّها ازرار وبألوان مضيئة أيضا ..ترى منذ متى وهي متواجدة هنا ؟ وما نفعها؟...هل استدعي أمي لتخبرني"

ـ" لا.. لاتفعلي فقط اضغطي على الزر الازرق وستعلمين كل تفاصيل الحكاية"

كان الصوت رقيقا قادما من داخل الدولاب للحظة اثار فيّ الرعب لكنّى تحاملت على نفسي وتشجعت وأنا على يقين اننّي لو استدعيت أمّي لغضبت منّي لرؤيتها هذه الكومة من الثياب فدخلت الى الدولاب وأنا احبو على ركبتاي كرضيع وكلى نظرات ثاقبة تملأ الدولاب بأكمله ردد الصوت في هذه المرة بثقة لا متناهية

ـ "لا تخافي هيّا قفي واضغطي على الزر نحن ننتظر قدومك"

هالنى ما سمعت لكنّ حبّي للمغامرة و كشف الغموض أقوي من الخوف

الكامن فيّ فتجاوزت حيرتي واندهاشي واعتدلت في وقفتي داخل الدولاب وضغطت بكل اصرارعلى الزر الازرق فكانت المفاجئة اكبر ممّا توقعت لقد افقلت درفتي الدولاب تلقائيا وغمرني الظلام حاولت دفع درفة الدولاب للخروج لكنّي لم أتمكن حتى أضاء الزر الوردي بنوره الباهت المكان فدققت التحديق فوجدتني اقف بجانب قزم صغير أزرق اللون بعينين جاحظتين وأنف كبير مستقيم وبلباس طالما عهدته في كتب الخيال العلمي او قصص الخرافة من لباس الامراء يعتمر قبعة صغيرة وضع فوقها ريشة صفراء وينتعل حذاء كبيرا بحجم قدميه لقد صدمت للمشهد فتسمرت مكاني وجفت الكلمات فوق لسانى في حين رمقني بنظرات تعجب ثم ردد:

ـ" لا تتعجبي منيّ ولا تخافى فقط تمسكي جيّدا "

وبسرعة بدأ الدولاب بالتحرك وبين الفينة والأخرى تزيد سرعته حتى انّي خلت نفسي في" مصعد كهربائي" لكن الغريب في الامر أنّ المصعد عادّة ما يصعد الى طوابق عالية او ينزل الى طوابق أرضية لكن على خلاف ذلك تماما كان الدولاب يسير باتجاه افقي كسيارة وبسرعة خيالية كآلة زمن تمسكت جيّدا في جدار الدولاب وقلت مخاطبة القزم.

ـ" الى أين نحن ذاهبان؟"

رفع راسه ثمّ أجابني

ـ الى الأرض المفقودة"

ـ" وما عساي أفعل هناك؟

ـ "كفي عن الكلام ريثما نصل "

لم يمض الكثير من الوقت بتقديري لانني حينها لا املك ساعة زمنية وفجأة ارتجّ الدولاب بنا رجّة خفيفة ثم فتح الباب لأرى أمامي طريقا معبدا عريضا على جوانبه سهول خضراء شاسعة وأشجارا تشبه الصنوبر لكنها صغيرة في الحجم.

نزل القزم بسهولة وبخفة ثم مدّ يده اليّ بكل أدب وانحى برأسه يردد

ـ" مرحبا بك في عالمنا وارضنا "

زادت بي الحيرة فأمتزجت الدهشة والغرابة بالفرحة وحب الاكتشاف فمسكت بكفّه الصغير ونزلت فجلت بناظرى كل ذاك المكان الرحب بجنانه واشجاره وانهاره الممدودة على شكل ثعبان خطونا بعض الخطوات فوق تلك الارض المخضرة التى أحسست بهشاشتها فما كانت تشبه أرضنا الصلبة حتى أنّ القزم أخبرني أن أحذر الوقوع وفيما نحن نخطوا اذ سمعنا أصواتا وضجيجا خلفنا وكأّنّ بجيش جرار يركض خلفنا حانت منّى التفاتة للوراء دون قصد حتى لمحت كثرا من الاشياء تركض في بادئ الأمر لم أتيقن ممّا رأيت لكن سرعان ما اتضحت الرؤيا عندما اقتربوا هناك الكثير من الثياب والبناطيل الفساتين القمصان بمختلف أحجامها كبيرا وصغيرا والعديد من الألوان تركض دون أجساد هي كذلك فارغة المحتوى لكن لديها أصوات وتنطق بلغتنا تداخلنا في

وسط الحشد الراكض صوب المجهول واللامنطق فقال أحد البناطيل الراكضة

-"هيآ اركضا ماذا تنتظران"

لفرط دهشتي وتعجبي ركضت مع القزم وأنا أتساءل

."لم يركضون أيّها القزم؟"

أجابني:

- "أنا أدعى" باري"ونسيت أن أخبرك يا "نيروز" أنّ اليوم ستتم فيه محاكمتك أمام"ملكةالسيوف" و"ملك الكؤوس" وقفت مندهشة واردفت قائلة

- " جيّد وتعرف اسمي أيضا .ثمّ لم تحاكموننني ؟ماهو ذنبي؟ أنا لم اقترف اي خطأ أريد العودة الى غرفتي حالا"

ثم رفعت رأسي بكل أنفة وعزّة توقف "باري" عن الركض فيما كانت الثياب تتابع ركضها وقال:

-"اولا كفي عن الكبرياء والانفة لأنّ الارض عندما تحسّ بكبريائك الطاغي ستنشق وتسحبكي الى العالم السفلي عالم الظلام والرعب وثانيا كلنّا مذنبون وسنتحقق من ذلك حالما نصل فلنتابع الركض"

- "كلا لن ابرح مكاني "

تأفف القزم "باري" قليلا ثم نزع قبعته ووضعها على الارض وبحركة من أصابعه وتعويذة سحرية انقلبت القبعة الى مركبة كبيرة معلقة في الفضاء

وسرعان ما احسست انّي أرفع الى فوق واوضع في المركبة وفي الاثناء صعد باري أيضا وطرنا نسابق الهواء والملابس المجنونة الخاوية ما تزال تركض حتى وصلنا الى تلة كبيرة تجري من تحتها أنهارا متشابكة تنبع من عمق البدايات فذاك نهر بلون قرمزي يتجه صوب الشرق وآخر بلون وردي مساره الى الغرب وثالث بلون اللؤلؤ لا شرقي ولا غربي راكد في مكانه وفوق التلّة من بعيد لاحت قلعة ملكية ذهبية تسلب الانظار لجمالها وسحرها وفنّها المعماري الخيالي اقتربنا أكثر حيث توقفت المركبة أو هي القبعة تحديدا وسط جمعا من الملابس والاحذية والديكورات من فوانيس وتحف ودمي وكأننيّ محاطة بجموع من الجيوش والجنود نزلت من القبعة مع "باري" وفسح لنا مجال بين تلك الحشود وسرنا حتى وجدتنى أقف بين يدي ملكة في غاية الجمال والأناقة والرقيّ ترتدي فستانا فضيّا لامعا طويلا بيدها صولجان الحكم المذهب يتخذ شكل سيف مرصع بالالماس وضعت على رأسها تاجا ذهبيا يحمل سيوف صغيرةكانت تجلس على عرش كبير معلّق في الهواء ليس بمرتفع على الارض وبجانبها عرش آخر معلق بالهواء أيضا يتربع فوقه ملك طاعن بالسن مشرق الوجه بلحية بيضاء طويلة يرتدي عباءة بيضاء ويحمل صولجان ملكي يشبه كأسا فرعونيا منمق بتفاصيل دقيقة تاجه قّد من اللازورد واللؤلؤ اللامع مع حبات عقيق بلون سماوي تحفّ العرش مجموعة اكواب من الكريستال المذهب وقد جلب انتباهي كثرة الاقزام حتى هيئ لي انّى في مدينة الاقزام غريب كلهم يتشابهون في الحجم والشكل عدا اللباس مع

اختلاف القبعات فعلا انّها الارض المفقودة

انحى باري أمامهما بعد أن رفع القبعة ثم ردد

ـ "جلالتكما ..المتهمة ماثلة أمام حضرتكما"

ردد الجمع خلفه بأصوات متفاوتة

نعم ..مذنبة..انها مذنبة....المذنبة"

هتف الملك بصوته

ـ "هدؤوء"

سرعان ما ساد الصمت الرهيب المكان ثم أكمل قوله

ـ" أنت" نيروز"

ـ "أجل حضرة الملك"

ـ" وهل تعلمين ما هو ذنبك الذي اقترفته حتى تم جلبك الى هذه الارض للمحاكمةّ ؟

."كلا سيدي اقصد مولاي"

قالت الملكة بنبرة غضب

ـ "كيف لا تعلمين ؟"

ـ" حضرتك لم يخبرني أحد بالمحاكمة ثم انّي جئت الى هنا وأنا لا أعلم كيف أتيت"؟

ـ" تأملي هؤولاء الجمع الغفير هم شعبي وقد اخطأتي في حقهم عديد المرات"

التفت يمنه ويسرة لاجدني محاطة ببناطيل وقمصان وفساتين وجوارب لا عدد لها بالوان متعددة وباحجام متفاوة واشكال ربيعية وخريفية وصيفية وحتى شتويةحانت منى ضحكة خفيفة فارجعت البصر للملكة وقلت

ـ" تلك أشيائي ...ثيابي وملابسي. لا روح فيها .وليست بشعب"

لمعت عيناها من الغضب ووجهت صولجان السيف أمامى وصاحت

ـ "أهانة أخرى وأمام الملأ ".

قال باري

ـ "عفوك مولاتي هي لا تقصد انّها صغيرة"

(ملك الكؤوس يومئ برأسه) ثم يردد

ـ "وجبت محاكمتك"

ردد الجمع

ـ اقتلوها .....الموت لها بالسيف يا مولاتي.....عذبوها ...بل اجعلوها بنطالا

مثلنا او فستانا اجوف.... اهملوها في السجن حتى الموت مثلما اهملتنا...

ـ (ملكة السيوف تخاطب باري).

ـ" هيا يا بارى اقرأ امامنا لائحة الذنوب جهرا حتى يتسنى لها معرفة اخطائها وعدد معاصيها وذنوبها واهمالها"

بارى ـ" بامرك مولاتي"

ثم لا أعلم من أين أخرج بارى ورقة تشبه بردية كلّما قراسطرا امحّي آخر قال

ـ أولا اهمالها المتتالي والمقصود لترتيب صفوف الجمع

وعدم تنظيمها للمكان وتعطيره

اقصاء الكثير من الاغراض بتهمة الضيق

الاستخفاف والاستهزاء بقدرات الملابس وبألوانهم

عدم التنسيق بينهم

المزج المتعمد منها بين الصغير والكبير ممّا يجعل الكثير من الاغراض تختنق واحيانا تبلى وتموت تحت وطأت التراص والفوضوية

عدم المساوات بين القديم منها والجديد

ارتفاع نسب الجمع المشتريات من الثياب دون الاستهلاك او تركهم يهاجرون الى اياد اخرى تحسن استعمالهم

وأخيرا عدم الاعتراف الصريح بضرورة استعمال المكوات لكي الاغراض للمحافظة على رونقها وشكلها العام امام الغرباء"

ـ بالله عليك هذا يكفي لقد عرفت ذنبي وسبب محاكمتي لم أكن أعلم من قبل أنّ للملابس والاغراض قوانين وثوابت ومدينة وملوك ثم محاكمة"

ـ ملك الكؤوس" لم تكن أبدا مجرد ثياب تلبس أو أغراض توضع للتزيين ولملأ الدولاب هوعالم بأكمله امّا تستقيم به حياتك أو يأخذك الى منحي الاستهتار واللامبالاة والفوضي"

ـ ملكة السيوف " لقد سمعتى كلمة الشعب فيك فما انت فاعلة؟

ـ "مولاتى أنا فقط ألتمس منكم العفو والعذر وأطلب فرصة أخرى لاغيّر تصرفاتي تجاه هذا الشعب "

الجمع يصيحون:

ـ أبدا يا مولاتى انّها مراوغة ...لا مزيد من الفرص.....ضعوها في زنزانة مع المساجين المهترئين والمنبوذين والقذرين لتموت اختناقا.."

من بين الجمع المكتظ والأصوات المتفاوتة انبثق صوت غريب متزن يخاطب الملكين وخرج بين الحشود يردد بهدؤء المتمكن

ـ" لا ضير ان سمحنا لها بفرصة اخيرة لانّى أعلم طيبة قلبها وعفويتها فهي لم تقصد ايّا من هذه السلوكات الخاطئة كما انها تعلم تماما انّكما قادران على

جلبها في ايّ حين ومحاكمتها في عالمنا دون العودة الى عالمها "

ابتسمت له وقد علمت من لونه ورائحته وشكله انّى طالما أحببت ارتداءه شتاء حتى صار يصغرني حجما انّه احب هدية لي من أمّي "معطفي الصوفي" اتجهت اليه مباشرة بعد كلماته هذه عانقته وقد أحسست بدفء يغمرني وبحنان يعتريني مازالت فيه روح الحياة

تشاور الملكان فيما بينهما ثم نطقا بالحكم

ـ ملك الكؤوس

" بعد النظر في قضيتك و كلام شاهد العيان قررنا امهالك فرصة اخرى سنمدك بكأس سحري من الكرستال تضعينه فوق مكتبك ان احسنتي التصرف والاهتمام بشعبنا يمتلئ بماء سحري حتى يكتمل ثم يخرج منه كأسا اخر بنفس اللون والحجم.وهذا سيف صغير أبيض يتغير لونه الى الاسود ان خالفتى المتفق عليه وعندما يصبح لونه اسود تماما تجدين نفسك معنا لمحاكمة ثانية"

ـ " شكرا لجلالتكما ولرحابة صدركما وصدقا سأكون عند حسن ظنّكما بي"

لكن الحشود ترفض الحكم المؤقت وتطالب بعقوبتي لذلك طفقوا يتدافعون قصد الوصول اليّ يتهافتون ولولا التفاف الاقزام حولي لغمرتني تلك الاشياء وخنقتني لكن "باري" اسرع بالقول بعد ان شاهد كل من الملكان يغادران ساحة المحاكمة حيث حلق عرش كل منها في الهواء مبتعدين غير آبهين لي

قال بارى:

ـ " هيا نيروز انّ الدولاب امامك مباشرة غادرى واضغطي هذه المرة على الزر الاحمر دون غيره حتى لا تجدي نفسك في عالم آخر هيآ اسرعي وستجدين السيف والكأس في وسط الدولاب ....

ـ وماذا عنك الن تأتي معي؟

ـ " كلاّ فأنا وبقية صحبي من الاقزام سنحاول دفع الجيوش عنك ريثما تغادرين..الى اللقاء"

أسرعت الخطى تجاه دولابي والذي وجدته أمامي دون سابق انذار فتحته درفته وأنا خائفة من ذاك الشعب الهائج سرعان ما ضغطت على الزر فاقفل بابه و طفق يرتجّ بي ثم زادت سرعته وحركته فتمايلت يمنة ويسرة وأحسست بدوار خفيف لكنّى لمحت وجود "الكأس والسيف" جلست القرفصاء أتأملهما بتعجب وانبهار وصدقا نسيت اي لون من الازرار ضغطت لكن الدولاب ما يزال يسير بي.

الزائــرون

أنا"شمس عبد الكريم " بنت وحيدة من بين ثلاثة أولاد يكبروننني بأعوام وهم"قاصف ..وناصف.. وساهف. "أمّا عن قاصف فمتزوج وله ابناء ويقتن مع زوجته بمكان بعيد عنا يزورنا بين الحين والآخر فيما ناصف وساهف يدرسان العلوم الروحانية وعلم الفلك والعلوم الاسلامية ويساعداني والدي في متجرنا" المصاغة " أمي تدعي نائلة وهي لا تشتغل لقد كنت البنت الصغرى المدللة فقط أساعد أمي في الاعمال المنزلية أمّا عن دراستي فقد إرتأى أبي أن أدرس بالبيت فعمل جاهدا بإرسال مدرسين لي في كافة الاختصاصات ومن الصنفين و صدّقوا ذلك إنسا كانوا أو من الجنّ دون أن يسمح لي بالذهاب الى المدرسة عموما وخلاصة القول نحن نسكن هذه الشقة منذ أكثر من ثلاثيين سنة ومع ذلك لم نشتك يوما من وجود خطب ما بها أو حدوث أشياء غريبة فيها أو حتى ملاحظة مواقف مضحكة أو مخيفة فقط كبيقة الشقق نعيش بسلام مذ إنتقالنا اليها

لكن في يوم موحش كان كل أفراد عائلتي بالخارج إخواني سافروا مع أبي لعمل طارئ أماّ أمي فقط ذهبت للسوق لتشترى بعضا من البخور ذو الرائحة الطيبة فهي تؤمن دائما بضرورة التحصين والتطيّب ودفع المضرات بالدعاء والصدقات في ذاك اليوم كنت أجلس وحيدة في غرفتي حتى سمعت فجأة ضجّة كبيرة ومقلقة وسط قاعة الصالون في بادئ الامر خلتها أمي قد عادت وطفقت تعيد

تنظيف البيت وترتيب الكراسي والكنبات فتحت الباب ببطء وأخرجت راسي اكتشف الغامض لكني لم أرى أمي وصدقوني كم كانت صدمتي قوّية إنّ الكنبات تتحرك لوحدها وتعيد ترتيب أمكنتها وبحركة لا إرادية أغلت الباب وعدت الى فراشي وأنا أتمتم بداخلي :

ـ" لعلّها هلوسات ..بل ربما تكون تهيؤآت "

وبعد مضيئ فترة وجيزة من الوقت سمعت أواني المطبخ تحرك وتسقط وأدراف المطبخ تغلق وتفتح من تلقاء نفسها تحاملت على نفسي قليلا وطفقت اتلوا ما تيسّر من سور القرآن حتى هدأت الضجّة وعمّ السكون المكان وإذا بأمي تناديني :

ـ"شمس يا شمس أين أنت "؟

ـ"أمي أنا هنا بغرفتي رجاء أقبلي "

ـ ما بالي أراك تجلسين القرفصاء فوق الفراش ووجهك شاحب "

ـ أمي لقد حدثت لي اشياء غريبة أثناء وجودك بالخارج "

ـ ماذا تقولين ؟ أنت حتما كنت تحلمين فلا مرعب يوجد بالبيت "

ـ"لا صدقا لقد سمعت جلبة وأصواتا ثم حركة بالصالون ومن ثمّة بالمطبخ "

ـ" إذا لم تكوني أنت من أعاد ديكون الصالون وترتيب المطبخ؟ "

ـ" حتما لست أنا إنّها الارواح ومخلوقات غريبة شفافة فعلت ذلك "

ـ هيّا إنهضي لنحصن أنفسنا وشقتنا ونطّهر المكان فهذا جرّاء تهاوني لبعض الايام دون تحصين "

مرّ المساء بسلام حتى حلّ أبي وإخواني فأخبرتهم أمّي بما إستجد اليوم طمأنها أبي أن لاشئ يقع إلا باذن الله ولن يتركوني بمفردي داخل البيت

أشرقت شمس الغد بسرعة بعد أن مرّ الليل في الذكر والاشعار وتلاوة القرآن كان أخوايا منهكان من التعب فناما عند أول خيط من الفجر فيما عاد أبي الى عمله بينما كانت أمي تجهز الفطور لي وتشغل القرآن على جهاز التلفاز حيث كانت المفاجأة الكبرى فتح باب الشقة بقوّة وصرنا نسمع أصواتا وهمسات وبدأت الكنبات تتحرك من جديد على غير العادة وكأنّ بشخص غاضب يعيدها الى مكانها السالف أمّا عن ستائر النوافذ فقط أزيحت وشرّعت النوافذ ودخل شعاع الشمس يجهر أبصارنا بعدما كنّا نحجبه نبتغي الراحة والنوم وإذا بأمي تصرخ :

ـ"ناصف ساهف أدركاني "

ركض ساهف قبالتها يحتضنها ويهدؤها

رددت أمي بصوت مرتجف

ـ"هل شاهدتم ذلك هل جميعكم سمع ما سمعت "

ـ ساهف" بكل تأكيد ولا مجال للشك لكن أين شمس "؟

ـأمي"انّها بغرفتها "

وفي هذه الضوضاء العارمة دخلت أمي وساهف الى غرفتي حيث لمحاني احتضن نفسي في زاوية الغرفة وعينايا لأوّل مرة احسّ وكأنّها جمرتان من نار تشعان حمرة من الغضب والخوف معا فيما كان السرير يهتز وينتفض لوحده

كأنّ طفلا يقفز فوقه مرحا فلم تعد غرفتي الغارقة في الهدوء والعتمة التي تبعث للراحة والخمود كذلك صارت مرتعا للاشباح يلهون باغراضي ويتقاذفون بوسائدي .

أقبلت أمي بجوارى تقبلّني ومعها ساهف يردد بصوت خشن كلّه همهمة وأفأفة ـ"أووووووف أووووه "هدأ الضجيج لنبرات صوته وأغلق باب غرفتي من جديد وساد الصمت للك قررنا أن نذهب الى غرفة ناصف فلم نسمع له لا حركة ولا صوتا تشجعت و أمي لوجود ساهف ثم طرقنا باب غرفة ناصف ودخلنا حيث وجدناه نائما فوق سريره وقد أقبر ودثّر بكومة من الثياب كانت خزانته مفتوحة بدرفتيها وجميع اغراضه على الارض وفوق الفراش ناهيك عن كون باب الشرفة مفتوح والسجاد ملقى على جدار الشرفة سمعنا صوت ناصف الغارق في عمق الثياب وهو يقول :

ـ"نعم الآن تأكدت من وجود الأشباح والأرواح والإنس " ثم رفع قميصا عنه وردذد مرة أخرى :

ـ"يجب أن نتصرف وبشدّة لن نسمح لأيّ مخلوق أن يخيفنا أو يطردنا خارج شقتنا "

ـ ساهف"بالفعل ...لكننا الى حد الآن لا نعرف ما سبب وجود هذه الظاهرة فجأة ومن يكونون أساسا "

ـأمي"أمّا أنا فسأعيد ترتيب الأشياء من جديد لأنّي أرى أنّهم قد رحلوا "

دلفنا الى الصالون وأعدنا ترتيب الشقة فرفعنا الصور ورددنا الأسمطة والأفرشة والسجاد الى مكانها المخصص ثم أغلقنا النوافذ وأسدلنا الستائر بعد أن أوصدنا باب الشقة بالمفتاح وكنا ننتظر عودة أبي منقذنا جميعا فهو شيخنا الجليل وحكيمنا ومؤنسنا .

قال ساهف:

ـ" أوتعرفون لقد رأيت بالفعل طفلان صغيران يلعبان في الشقة كان أحدهما فتى بسن الاربع سنوات ويدعي "سامر " اماّ الثاني فهي فتاة تكبره ينادونها "شيماء"كانت الفرحة تغمرهما لكن حين أصدرت همهمة إنتفضا يرتعدان خوفا وقد تسابقا الى أمّهما حينها تملّكني الضحك بقهقهات عالية ضاعفت رعبهم مع أمّهم..."ها ها ها ها.. "

أردف ناصف بقوله:

ـ"أنا كنت في الحمام أبتغي الاستحمام لكن أحدهم أغلق صنبور الماء فأعدت فتحه لكنّه أغلقه ثانية فتملكني العناد ففتحت كافة الصنابر المقفلة وصرخت بوجهه فإنفض من الخوف وأدبر نحو الصالون تاركا باب الحمام مفتوحا "

عقبت أمي حوارهم قائلة :

ـ"كنت خارج شرفة المطبخ أخرج حاوية الفضلات فيما أقفلت تلك السيدة بوجهي باب الشرفة كنت أرمقها بنظرات من خلف الزجاج لأرى ما تفعل بالمطبخ وأطرق الباب علّها تفتح لقد رأيتها فيما حدقت بي غير مصدقت وقد جحظت عيناها من الرعب وفتحت فاها وحين نطقت قالت:

ـ" ماذا تريد منّى ايّها الشبح "؟..

ـــ"فبالله من منا الشبح "؟

دخل أبي ونحن نتحاور ونضحك حينا لبعض المواقف أخبرناه كالعادة بما إستجد من أحداث والتى كان له علم بها من حيث لاندرى فقال بعد أن جلس بتوءدة وبصوت حكيم كأنّما يسرد قصة :

ـ"اسمعوا يا أبنائي اليوم يجب أن أخبركم بسّر لطالما كتمته عنكم لسنين إنّ هذه الشقة لم تكن يوما ملكا لنا ولا حتى توارثناها عن أجدادنا لقد كانت لأحدهم حيث اشتراها وأثّثها وجهزها وعاش فيها وحيدا دون أولاد ولا أقرباء يسألون عنه حتى وافته المنيّة ورحل عن الدنيا تاركا هذه الشقة مقفلة لسنين طويلة شأنها شأن بقية الشقق في هذه العمارة فقررت أن أنزل بها وأستبيحها لي بعد أن شاورت في الأمرالحاج"أبو يوسف " و"الحكيم أبو زيد "فاخبراني أن لا ضير في أن أسكنها ما دمت أبتغي السلام بها وما دامت شاغرة لكن اذا ما إستجد أمرا ما يخالف وجونا بها فيتوجب علينا الرحيل كأن تصبح مسكونة او ملعونة او حتى مأهولة أو كأّن نرى بها مخلوقات غيرنا مثل أرواح و حتى أشباح"

ـ ناصف " لكن أبي هؤولاء اقتحموا خصوصياتنا وفجأة بدوا بمضرتنا عبر تغيير أشيائنا ومقتنياتنا "

ـ"ساهف" كيف لنا أن نتعايش مع مخلوقات بالكاد نراهم ولا يروننا بل قد يروننا دون أن نراهم "

كنت أجول بنظراتي بينهم وأنا غارقة في صمت الى أن فتح باب الشقة في هذا الوقت المتأخر من الليل استدرنا جميعنا لنتابع المشهد فقد اتضحت الرؤية الآن وكشف الستار والحجاب عنّا لقد شاهدناهم الاسرة بالكامل الزوج ومعه زوجته وابنيهما يصطحبون شيخا كبيرا بالسن نطقت لحيني

ـ" هل تشاهدون ذلك إنّهم يقتحمون الشقة ليلا وبحضورنا ألا يكفيهم العبث بنا نهارا "

ردد أبي بعد إستقام واقفا :

ـ". السلام عليكم "

لكنهم لم يجيبوا عدا واحدا بينهم كان بملامحه شيخا وقورا ردّا لتحية وقال :

ـ"انا الشيخ عبد الرحمان السالمي جئتكم بسلام وفي سلام فبحق آيات الله واسمائه أتركوا هذه العائلة تعيش بسلام في هذه الشقة "

ـ أمّا أنا فعبد الكريم بن الملك ميمون وهؤولاء عائلتي ونحن مسلمون مثلكم وهذه الشقة لنا جميعا فكله ملك لله فان أردتهم تعايشنا كإخوة لا ضرر ولا ضرار وإن شئتم نغادرها لكن بشروطنا "

سرعان ما غضب ساهف لقول أبي وإتجه صوب الزوج الذي كان يتصنع الشجاعة ودون أن يرى أخي بقبضة من بيده القوية لفت حول عنقه ورفع الى الأعلا كريشة في الفضاء وهو يصرخ بصوت أبح

ـ" سلاما قولا من رب رحيم ..بسم الله الرحمان الرحيم ..أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق "

ردد معه ساهف وهو يقهقه بصوت خشن عميق:

ـ" بسم الله الرحمان الرحيم ... أنا مثلك مسلم وأجيد قراءة القرآن "

إستدار إليه ابي وقال :

ـ" أنزله بسرعة أيّها المتعجرف لقد دخل بسلام وله الأمان ونحن مسالمون وسنترك لهم الشقة في الحال "

فتح أخي قبضته والقي بالزوج فوق الكنبة فيما كان أطفاله وزوجته يتحلقون به خائفين لا يدركون تماما من نحن ولا حتى استطاعوا رؤيتنا

قال الشيخ عبد الرحمان" بارك الله فيكم وعليكم يا عمّار المكان وسكان الديار فو الله إنّ هذه الشقة تعود لهذه العائلة بالحجة والوراثة فهم أحفاد عمومة "مالك أبو الرشيد الذى إشتراها منذ أكثر من ثلاثين سنة "

ـ أبي" لكم ذلك سنخرج الآن فقط نريد منكم أن تقيموا مأدبة عشاء بذبيحة كبيرة تشترى من عند فلاح فقير لاولد له ويداوم قراءة القرآن في الشقة لا ينقطع "

ـ عبد الرحمان لكم ذلك انصرفوا سلاما عليكم ومنكم "

نظر ابي الينا وقد تجهمت وجوهنا لما سمعناه فيما ردد بصوت الهادئ

ـ"هيا بنا لنغادر هذه الشقة "

ـذرفت الدمع وردد" هي شقتنا كل ركن فيها يحمل ذكرياتنا وأنفاسنا وحياتنا "

ـ ناصف"لا عليك أختاه حياتنا أطول من حياتهم بآلاف السنين وسنظل بها في كل حين "

ـ أبي" الشقة المقابلة لهذه الشقة شاغرة هي الأخرى منذ سنين ويحق لنا أن نسكنها "

ـ"أمي كل شقق العمارة شاغرة عدا ثلاث شقق "

ـساهف" صدقتهم كل الشقق لنا والآن أخبروا قاصف أنّنا غيرنا السكن "

ثم رحلنا لحيننا لتلك الشقة التي كانت تشبهها تماما عدا بعض التغيرات في الاثاث لكن ابي أخبرنا ونحن نقسّم الغرف عن أمر ما قد يهمنا "

ـ" أحبابي هذه المرة سأخبركم سرا آخر إنّ هذه الشقة قد قتلت فيها سيدة عجوز ويقال إّن روحها ما تزال تسكنها فلا يستكين قرينها ولا تعبر روحها الى النور حتى تكشف قاتلها فان صادفتم أحداث غريبة أو لمحتم أطياف فاعلموا أنهم ليسوا إسا ولا بشرا ولا جنّ أمثالنا بل هو القرين أو الشيطان أعوذ بالله منه ليلتكم سعيدة "

القفز على الخوف

ردد باسل بهدوء تام وبنبرة المتمكن."كلا لن أعيد المغامرة ثانية مهما حاول جمعكم اقناعي بغير ذلك"

ـ أسيل " لكّن في النهاية هي مجرد لعبة لا غير فنحن لا نبتغي العبث ولا نريد اذاء غيرنا او حتى انفسنا بل كانت مجرد تجربة ربمّا أخطأنا في تقدير قواعدها"

ـ مازن" وان يكن لن نعيدها مطلقا"

ـ أيهم "لا ضير في التجربة ولن نخالف قواعدها "

ـ" رجاء دعوا الارواح ترقد بسلام ولنهتم بما هو أهم"

في بداية الامركانت الفكرة بمثابة دعابة بسيطة وعبارة عن مجرد رغبة لاستكشاف طبيعة هذه اللعبة أحقيقة ام خيال ؟ومجرد أوهام وتصورات وخرافات لا أكثر ولا اقل أمّا اليوم فدافعهم بات قوياً جّدا لخوض غمار هذه اللعبة وخصوصا بعد وفاة صديقهم "معزّ" اثر انتحاره في شقته لاسباب كانت في غاية الغموض والدهشة قد تساعدهم "الويجا " في كشف بعض الاسرار باستحضار روحه . اتفقوا على ان يلتقوا في المقبرة حيث يرقد صديقهم بسلام في ساعة متاخرة من الليل وبعيدا عن ضوضاء العالمين وتدخلاتهم و حتى تتم طقوس اللعبة على أوجه كاملة متناسين في ذلك ان للعبة الويجا

قواعد لا يجب ان تكسر والا انقلب السحرعلى الساحر و من ضمن أول القواعد وأهمّها أن لا تلعب في المقابر كانت ثقتهم بأنفسهم وتكافلهم يصنع بداخلهم الشجاعة الكافية لهتك سراللعبة وهتك سرّأهل القبور وكسرصمتهم الرهيب قفز الصحب من على سور المقبرة بعد أن يئسوا من محاولتهم في فتح بوابتها الحديدية نطوا الواحد تلو الآخر بدءا "بباسل" صاحب الفكرة التى أنارت عقولهم تماما مثلما أنار سبيلهم بالكشاف اليدوى ثم سرعان ما قفز "مازن" صاحب لوحة الويجا أمّا عن أيهم فقد بقي في الطرف المقابل من السور حتى يساعد الفتاتين "أسيل" و"ريهام"على القفز ومن ثمة يحين دوره فينط بكل خفّة انّها الصداقة بعنوان التعاون طفقوا يبحثون عن ضريح صديقهم بخطى بطيئة حذرة يتهامسون احيانا ويضحكون حينا آخر ليتخطوا شبح الخوف الجاثم فيهم وأخيرا عثروا علي الضريح سرعان ما وضعوا اللوحة فوقه وأخرجوا المكبروتمكنت الفتاتان من اشعال شمعتين حيث لا يوجد هبوب رياح تعيق الانارة وطفقوا يأدّون طقوس اللعبة بكل جّدية وفي سكون البرية وبينما هم كذلك اذ هبت نسمة باردة كأنفاس ميت أطفأت شمعة واحدة وسرت في أجسامهم رعشة غيرعادية ثم سمعوا حشحشة اوراق بين الاشجار قالت "اسيل" وقد جالت بنظراتها في كل الاتجاهات:

ـ "يا جماعة لا أخفيكم سرا لقد بت أكثر خوفا من ذى قبل"

ردد "مازن" ساخرا:

ـ "دعك من الهواجس لا يوجد شيئا مرعب هنا كلنا ارواح"

أجابهم "أيهم" وقد ابتعد عنهم ليثبت شجاعته وأن لاشئ مخيف قائلا:

ـ" انظروا أنا الان أرقص خوفا و ارتعد يا الاهي أنا أشبه بفتاة خائفة جدا .بل أنا شبح تائه في الظلام."

ثم بدا يرقص ويبتعد ويصدر اصواتا مرعبه تارة واصواتا ساخرة تارة أخرى وهو يضحك انتفضت "ريهام"من مكانها ومقتت صنيعه وقالت:

ـ" يكفي يا مجنون قد تؤذينا بصنيعك هذا فللمكان حرمته لا ترقص فوق القبور "

ترك "باسل" اللوحة والمكبر ورفض اتمام اللعبة مرددا:

ـ " لم أكن أعلم أنّنى صحبة صبية صغار لن أكمل اللعبة مع انّ كل مؤشراتها تدل على انّ هناك روح اقتربت منّا وتريد التواصل معنا قد تكون روح معز"

ـ اسيل "حسنا سأكمل اللعب بمفردي لامشكلة "

ثم وضعت سبابتها على المكبر وبدأت تسال اذا ما كانت هناك روح فلتحرك المكبرعبرالحروف وتكشف لنا عن اسمها وببطء شديد تحرك المكبر باتجاه حرف الميم في الاثناء صرخ أيهم من بعيد بصوت خشن يردد:

ـ" انا روح معز صديقكم لقد جئتكم من الجحيم "وطفق يضحك

بسرعة خاطفة انطلق المكبر من بين يدي "اسيل" وسقط بعيدا وكأنّا بقوة خارقة غاضبة قد القت به بعيدا لم يكن هناك بدّ من اكمال اللعبة في هذا

الجو المرعب بصيحات أيهم وهزئه وبتحرك لوحة الويجا من تلقاء نفسها وانتقالها الى جانب مظلم من المقبرة اضف الى تحول الهدوء الى حركة دابة في ارجاء المقبرة من حشحشة وفحيح واصوات انين وهمس ناهيك عن تعطل ضوء الكشاف قفزت ريهام من مكانها تركض تجاه البوابة محاولة الخروج من المقبرة تصرخ وتستنجد مما ارعب الجميع طفقت اسيل تركض خلفها ايضا و تلحق بها امّا باسل فصار يناديهن ليعدن ويلوم ايهم على تخويفهن بينما اختفي "مازن" فلا أحد يعلم عنه شيئا أمر "باسل" صديقه "ايهم" بأن يلحق بالفتاتين ويحاول تهدأتهن فيما يبحث هو عن مازن فهذا ليس بوقت العبث ولعب الغميضة ويجلب بدوره اللوحة التى القيت بعيدا ثم يعودون ادراجهم. لحق ايهم بهما وقد احتضنتا بعضهما البعض لشدة الخوف قال باعتذار :

ـ "أنا آسف يا بنات لقد كنت السبب في تخويفكن بأصوات مرعبة اصدرها وحركات مخيفة "

أجابته أسيل "وكيف لك ان تلقي بلوحة الويجا بعيدا هذا أمرغيرطبيعي "

اردفت ريهام وهي تمسح دموعها ومازالت ترتعد:

ـ" وكيف تفسر ما أنا شاهدته دون غيري انّما فزعت وهرعت اركض من شئ ابيض طويل كلما دققت فيه كلما زاد طولا فيما كنت ترقص وتغني كان خلفك تماما. يتمايل معك ويحتذي بحركاتك ويقلدك."

قال أيهم " صدقا لا اعلم عمّ تتحدثين ؟ لكن يجدر بنا الرحيل"

قاطعه صوت باسل القادم من بعيد :

"- ليس قبل ان نجد مازن فلا أظنّه قد رحل بهذه السرعة"

التف الجمع ببعضهم يحاولون تقبّل الموقف فيما اقترح عليهم أيهم أن ينقسموا الى مجموعتين الاولى تبحث عن مازن والثانية تبحث عن لوحة الويجا التى اختفت فجاة كان الامركذلك حيث اتبعت ريهام خطى باسل وذهبا بحثا عن مازن خلف اشجار المقبرة وصخورها ظلّ أيهم ينادى مازن بصوت خافت خشية أن ينتبه اليهم حارس المقبرة واصلا بحثهما في جهة مخالفة حتى التقيا الصحب مجددا باسل وريهام ثم أيهم وأسيل اللذان وجدا لوح الويجا ملقى فوق قبرشيّد مؤخرا ممّا زاد في حيرتهم فقد اكتشفوا انّ هذا القبر الحديث هو لصديقهم "معز" هذا يعني بالتأكيد انّ الضريح الذي لعبوا فوقه الويجا كان لشخص آخرمجهول توفيّ أيضا مؤخرا مع ان باسل اكد انه قرأ شاهد الضريح قبل بدء اللعب وعلم انّها تخص صديقهم عموما بات الامر يبعث للقلق هكذا ردد ايهم بكل جديّة فواصلوا البحث عن مازن الذي اختفي وفيما هم يبحثون اذ بهم يسمعون صوتا ابح مخنوق يصرخ من بعيد ويطلب النجدة ايقنوا لحينهم انّه مازن ركضوا جميعهم ليجدو مازن ملقى على الارض يحاول الخلاص من الوقوع في حفرة عميقة وشيئا ما يجذبه الى الاسفل سارع الصحب لنجدة مازن محاولين تخليصه وسحبه للاعلى بكل جهد لكن القوة الخارقة والغامضة كانت اقوى منهم امتدت فترة خلاص

صديقهم لوقت طويل حتى تمكنوا أخيرا من اخراجه ودون لفظ كلمة واحدة منهم اطلق الجميع سيقانهم للهواء بين الصرخات والسقوط وفي الظلام حتى ان الكشاف قد وقع منهم فلا يتبادر الى اذهانهم غير الوصول الى البوابة التى كلما اقتربوامنها صارت ابعد مما يكون يا له من كابوس ولعبة ملعونة في ليلة مجنونة.

كانت أسيل تلهث وتبكي وقد توقفت عن الركض قائلة:

ـ" لاوالله لا استطيع الركض اكثرمن شدة الاعياء وكل جسمي ينتفض رعبا لعل المجهول يركض خلفي ورغما عنّى انا استسلم "

ـ ريهام " هيا تشجعي فالبوابة قريبة منا"

أيهم واقفا ويجول بنظراته الى الخلف ردد متسائلا وهو يلهث:

ـ "مطلقا كلما اقتربنا من البوابة ابتعدت عنّاوكأننا صرنا سجناء داخل هذه المقبرة فهنالك من يجبرنا على البقاء"

ـ " يا جماعة من قواعد اللعبة اننّا حين ننتهي من اللعب يحب ان نردد الى اللقاء حتى لا تطاردنا تلك الروح" كان هذا صوت باسل.

مازن وقد شحب لون وجهه واختنقت انفاسه فتلعثمت الكلمات فوق شفتيه قال:

ـ "كدت اموت فما شاهدته لا يخطر ببالكم فرجاء اخرجونا من هنا فلا طاقة لي بالتفكير او الجري"

اخذ باسل اللوحة ووضعها على الارض وبرغم الظلام المحيط بهم الا انّه تمكّن من وضع المكبر فوقها ولفظ بصوت عال عبارة "الى اللقاء" لكن المكبرسحب من بين اصابعه وطفق يتحرك بشكل دائرى يكرر لفظة " لا" ارتعدوا جميعهم واتجهوا صوب السياج عاقدين العزم على النط من السور مثلما كان دخولهم اول مرة لكن في هذه المرة ترك باسل اللوحة ولم يشأ أخذها معه بدأوا يتصعدّون السورويتسلقونه بجهد مضاعف كانا ايهم وباسل يساعدان مازن على الصعود بعدما مكّنا الفتاتان من النط خارجا و جلّ نظراتهم تحوم حول المقبرة وحينما تمكنّا هذان الاخيران من الولوج خارج المقبرة تنفس جميعهم الصعداء لكن داخل المقبرة كثرت الضوضاء والصخب وهبت ريح شديدة باردة تحمل معها غبارا ملأ الساحة وضباب مرعب وفجأة سمعوا بوابة المقبرة تفتح بقوة وطفقت درفتيها تتضاربان بشدة لا يعلمون ان كانت الرياح وغضب الطبيعة هما السبب ام اشياء اخرى خارقة .

اسرعوا صوب سيارتهم المركونة على حافة الرصيف استقلوها متجهين صوب اقربهم منزلا وهو منزل "ايهم "كانت السيارة تجتر الطريق بسرعة فائقة وهم يحاولون الهروب من المجهول وبينما كان باسل خلف عجلة القيادة يتأمل الطريق بعناية ويتبع مصابيح الشارع مازال أيهم بجانبه ينظر من خلال الرؤية الخلفية للسيارة علّه يجد شخصا يتبعهم في حين كانت الفتاتان تجلسان في

المقعد الخلفي للسيارة ومعهم مازن الذى اغشته نعسة وغيبوبة من الخوف وبعد فترة وجيزة من الهدوء والصمت المخيف رددت أسيل:

ـ " رجاء ريهام كفي عن التنفس بقوة في اذني فقد اخفتني"

ـ ريهام " مطلقا لست انا ربمّا هذا شخيرمازن اظّنه استعذب الموقف فنام"

ـ مازن" صدقا يا بنات لست انا فكيف لي ان استعذب النوم وقد لمحت لوحة الويجا بين ساقايا ونحن تعمدنا تركها في المقبرة خلفنا "

صدرصوت طفحيط عجلات السيارة بعدما ضغط باسل على دواسة مكابح السيارة لامر يفوق حدود التصور .

تهريب آثـار

رجل كهل في سن الاربعين يركض بسرعة وهو يلهث تحت شمس الهجير الوهاجة دون قبعة تقيه الحرارة اللافحة او قارورة ماء تطفئ نار ظمئه وقد زادت الحرارة من سمرة بشرته حتى كدنا نراه بنفسجي اللون او هي زرقة الاختناق كان قادما من خلف تلك التلال والاراضى الشاسعة من قرية "اولاد جعفر" وهي عبارة عن احواش متناثرة على مدى بعيد غير متلاصقة فقط يربطها ببعضها طرق ومسالك ضيقة وممرات ترابية تعرف باسم "مسرب" مازال هذا الرجل يلهث حتى وصل الى طريق معبدة مؤدية الى بناءات عصرية اقيمت على حافته مثل "مستوصف الشفاء" والذى لم يدشن بعد بافتتاحه منذ تشييده وجامع صغير بصومعة نحيلة وقبة مثل كومة قش كتب عليه "جامع الحكمة" بجانبه شيدت بناية واسعة كثيرة النوافد قيل عنها " دار الشباب للثقافة" ولم يتم استغلالها منذ زمن عدا كونها بناية يتراص حول سورها بعض الشيوخ لممارسة لعبة "الخربقة " كذلك تمتد على حافة الطريق "مدرسة النور" التعليمية عبارة عن ثلاثة بيوت مترابطة بلا سور يحميها شر الزمن فيها يتلقى طلاب الريف تعليمهم دون كبد ولا عناء حتى ان صنبور الماء وضع وسط الساحة الواسعة والتى تناثرت من حولها اشجار الصفصاف والصنوبر يستظل بها الطالب وقت الراحة وليس ببعيد عن بناية المدرسة يستمر الرجل بالركض حتى وصل الى بناء عصري التكوين سياجه من حديد كذلك بوابته

الواسعة وقد فتحت على مصرعيها علق فوق البوابة لافتة كتب عليها "مركز شرطة" بخط غليظ و "الشرطة في خدمة الشعب"

دلف الرجل الى قاعة متوسطة المساحة يوجد بها مكتب استقبال حيث استوقفه ضابط الشرطة قائلا:

ـ "يا هذا من انت؟ وماذا تحسب نفسك فاعل؟"

لحينه اخذ الرجل يلتقط انفاسه بصعوبة وكأنه يلفظ الروح وردد بكلمات متقطعة .

ـ "انا ...شرط.....اريد.."

ـ "ماذا تريد على رسلك وتمهل هيا اجلس ثم استرح قليلا واخبرني أيّ كارثة القت بك هنا "

امر الضابط باحضار كاس من الماء لهذا الرجل علّه يسترد انفاسه.

على مدار السنة لم يكن مركز الشرطة مكتضا بالقضايا او الشكاوى فقط في موسم الحصاد وجنى المحصول تكثر النزاعات البزنطية حول الاراضي والمعدات الفلاحية تلك قضايا لم تكن يوما ذات اهمية لكن على ما يبدو الان هناك سر عظيم وراء هذا الغريب الذي جلس على الكرسي بعد ان تجرع كاس الماء دفعة واحدة ثم تابع القول :

ـ "اريد رئيس المركز حالا هناك كارثة مصيبة ستحل على القرية "

اندهش الضابط قائلا:

ـ"اقلقتنى ياهذا اخبرنى ما الامر حتى استطيع اطلاع الرئيس على هذه الكارثة"

ـ" لا لا مجال للتريث او الانتظار ستتم العملية ليلة الغد وانى والله اخاف على البلدة واهلها "

ـ" هيا تكلم هات ما عندك "

ـ" انها قضية هامة انها عملية لتهريب آثار"

انتفض الضابط واقفا من كرسيه لهول ما سمع وردد نفس الجملة

ـ" تهريب آثار هل تعى ما تقول يا هذا؟"

ـ" نعم اريد الرئيس "جابر "

ـ لك ذلك فالامر حقا لا يستحق التأجيل او التوانى سأعلم الرئيس حالا انتظرنى هنا في المكتب "

لحينه دخل الضابط الى مكتب رئيس المركز"جابر" واطلعه على الامر مما دفع بهذا الاخير الى الخروج من مكتبه مسرعا تجاه الرجل وقد طفق يقول

ـ "هيا تفضل يا رجل الى المكتب حيث السرية التامة والامن "

اعتدل الرئيس في جلسته وراء مكتبه وامر الرجل بالجلوس في الكرسي

المقابل له ثم قال :

ـ "هل ما سمعته صحيح وانها قضية تهريب آثار؟"

ـ "نعم سيدي وانا على ثقة تامة فيما اقول

ـ" جيّد جدّا لنفتح محضر بحث في هذه القضية فقد بات الامر جديّا وانت تصر على اقوالك كما آمل ان لايكون مجرد بلاغ كاذب وازعاج للسلطات حينها فقط ستجد نفسك خلف القضبان "

ـ "كلا سيّدي انا اعي ما اقول"

لحينه امر رئيس المركز الكاتب بجانبه بفتح ملف للقضية وبداية التحقيق باستجواب هذا الرجل الغريب :

ـ " يا هذا هل انت مستعد للاجابة عن كل الاسئلة الموجهة لك

ـ "نعم نعم سيّدي تفضل كلى آذان صاغية.

ـ "حسنا لنبدأ .

ـ (سين) "اسمك وسنك وعنوانك ومهنتك

ـ"(جيم) اسمي عبد الله امين الزهراوي عمري ثمانية واربعون عاما متزوج وعندي خمسة ابناء ابي متوفى وامي تعيش معنا في نفس البيت ..."

ـ "يا سيدي نحن لانهتم بتفاصيل حياتك أكمل وماهو عنوانك؟

- (جيم) أنا أصيل هذه المنطقة من ريف أولاد جعفر

- (سين) يا عبد الله اظنك لا تشكو من أيّ مرض عقلي

- (جيم) لايا سيّدي انا في كامل مداركي العقلية وسليم من جميع الامراض"

-(سين)" هل تستطيع ان تخبرنا الامر برمته بشأن الاثار"

-(جيم) " نعم سيدي لقد شاهدتهم وسمعت الحديث الذي دار بينهم لكنّي لم استطع ان اكلمهم حتى لا ينتبهوا لوجودي فهم حريصون على اتمام الامر بسرية تامة"

- (سين) انت قلت انها عملية لتهريب آثارتقصد ان هنالك آثار بهذه القرية وسيتم تهريبها ؟

- (جيم) نعم سيّدي اقصد آثار وسوف تهرب من القرية الى مكان آخر

- (سين) انا صراحة لم اسمع عن جود آثار في هذه المنطقة او حتى في المناطق القريبة منها طوال مدة خدمتي هنا"

-(جيم) "سيدي آثار موجودة لكن لا احد يجرؤ الحديث عنها او حتى يقترب منها الكل يخشى عائلتها"

- (سين) "وهل للآثار عائلة يا رجل؟"

-(جيم)" بالتاكيد وعائلة عريقة معروفة جدا هنا"

ـ (سين)" جيّد عبد الله هل تستطيع ان تخبرني عن الاشخاص الذين يدبرون عملية تهريب الآثار"

ـ(جيم)" آثار سيدي آثار وهؤولاء الاشخاص هم حجر ورقة و مقص"

ـ (سين) "نعم ماذا تقول؟ وهل نحن هنا للعب يا هذا؟ ارجوك تكلم بكل عقلانية"

ـ (جيم) ياسيّدي هم كذلك ينعتون انفسهم فحجر هو عبد الحفيظ الحجري وورقة منصور القروي اما مقص فهو ابو اسماعيل النابلسي

ـ (سين) وهل هم ابناء هذه القرية ويقتنون هنا؟

ـ(جيم) نعم لكن هنالك شخص رابع غريب ليس من ابناء القرية وأرى أنذه ثرى هكذا تدل عليه هيئته

ـ (سين)" ألم تستدل على معرفة اسمه او حتى جنسيته؟

ـ(جيم) "اظّننى سبق وشاهدته منذ عام تقريبا يتجول هنا بالحقول وسمعت انه يبتغي شراء قطعة ارض صالحة للبناء وعلفكرة سيدي هو ليس من ابناء الوطن اساسا"

همهم رئيس المركز وقد اومأ برأسه وقال

ـ"لقد اتضح الامر الآن يا عبدالله فرجاء اخبرنى عن فحوى حديثهم كما سبق وسمعت"

ـ "لقد سمعتهم يتجاذبون اطراف الحديث حول موعد التهريب وكان الغريب معهم يدقق بالموعد ويخبرهم انه على موعد مع الطائرة المقلعة لبلاده يوم الخميس المقبل على ان يتم التهريب ليلة الغد حتى لا يكشف امرهم"

ـ (سين)" وهل تظن ان الآثار موجودة حاليا في بيت احدهم"

ـ "جيم لا سيدي آثار لا تزال بمكانها الآمن"

ـ(سين) مما يعنى انك رايت الآثار ايضا؟ واني اخشي ان تكون لك يد في العملية يا عبدالله؟

ـ "مطلقا سيدي والا ما كنت لاخبرك بالامر"

ـ "وهل تعرف ماهي الآثار؟

ـ "اكيد سيدي آثار منا والينا هي شرفنا وتستحق الافضل والعناية تستحق الرقي في المعاملات والحفاظ عليها من الغريب وكل مساس بها يخدش من كرامتنا"

ـ "جيد يا عبدالله فالاثار هي وطنك وعرضك وانتماؤك بل هي تاريخك واصالتك وجذرورك والتخلي عنها يعتبر جريمة آخر سؤال هل لديك دليل يثبت صحة اقوالك؟

ـ" كيف ذلك يا سيدي؟"

ـ "اقصد هل لديك دليل على اقوالهم مثلا كتصويرهم او تسجيل الحديث

عبرالموبايل"

تعجب عبد الله لقوله ثم ردد

ـ" ماذا سيدي"

ـ" اقصد الهاتف الجوال اي التلفون"

ـ" للاسف لا دليل لدي فقد لمحتهم اليوم فجأة اثر عودتي من الارض بعد السقي فتعجبت لانضامهم مع الغريب في ضيعة منصور القروي"

استقام رئيس المركز واقفا من وراء مكتبه وقال لعبد الله

ـ" تستطيع المغادرة الآن يا عبد الله"

ـ رجاء سيدي لا تخبرهم بانى من اطلعك على الامر "

ـ" لا داعي للقلق غادر الان بعد ان توّقع على كلامك في المحضر وان استجد امر آخر فاخبرنا به فالقضية باتت معقدة وتستحق المتابعة بعد الكم الهائل من الركود الممل في هذه القرية"

ـ "بامرك سيدي"

سرعان ما غادر عبد الله المركز باتجاه بيته مثقول الخطي يتمتم في نفسه

ـ "اكيد لقد قمت بالفعل الصواب فلا احد يستحق خطف اثار منا ولا حتى تهريبها فكل ما يخص قريتى هو آثار لن يتوانى احد في صد الشر وابعاده

عنا"

لحينه أخذ رئيس مركز الشرطة مغلف الاقوال الذي بات الآن ملف قضية واتجه مباشرة صوب سيارة الشرطة لتوقله الى المدينة وبالتحديد الى منطقة الشرطة والداخلية للامن الوطني حتى يزودهم بالمعلومات ويزودونه بالدعم الأمنى تدارسو االامر فيما بينهم وخططوا وبحثوا ونظموا ثم طلبوا من رئيس المركز "جابر " أن يعاين الاحداث عن كثب ويراقب الأوضاع عن بعد وعن طريق السيد "عبد الله" هذا الاخير الذي تمكن من معرفة بعض الاخبار المستجدة بطرائقه فقد علم ان موعد الاستلا م الليلة بعد منتصف الليل في بيت ابو اسماعيل النابلسي هذا ما قد اخبر به رئيس المركزحين ذهب اليه وكعادته مسرعا .

اجابه الرئيس" جابر"

ـ" الليلة سنذهب جميعنا الى المنزل وندا هم الاشخاص هناك حتى نمسكهم بجرمهم المشهود ومعهم الآثار فهل انت مستعد يا عبد الله؟"

ـ "بكل تأكيد سيدي"

اقبل الليل على عجلة من أمره وساد بستاره الاسود كل القرية فاستكان القرويون الى الهدوء والسكينة بعد يوم شاق ومتعب في الضيعات والغيطان الا ان عبد الله كان يعد الساعات جيئة وذهابا على مضض في ساحة حوشه ينتظر قدوم سيارة الشرطة ليذهبوا لمنزل ابو اسماعيل وبعد مضيئ ثلث الليل

واكثره سمع محرك سيارة امام حوشه خرج متلهف ليجد رئيس الشرطة ينتظره في السيارة أومأ له بالصعود وانطلقو لحينهم .

من أمام بيت ابو اسماعيل لمحوا ضوءا خافت وحركة خفيفة تثير القلق والرعب لعله الهدوء الذي يسبق العاصفة هدأت محركات سيارات الشرطة على مسافة تكاد تكون قريبة حيث استتروا بأشجار الزيتون وأمر السيد جابر بان يترجل جميع القوات وتقوم بمحاصرة المكان حتي يضيقوا الخناق على السارقين والناهبين فلا يجدون بدا من الهرب ثم تسلل جابر ومعه شرطيين آخرين يحميانه من الخلف ومعهم عبد وهو يتجرجر في جلبابه فتارة يحمله على كتفه وتارة أخرى يعضه بين أسنانه محكما شده حتى لا يعرقله بالمشي تسلل جابر باتجاه الباب الرئسي للحوش وفيما كان يهم بخلعه بعد ان يثيرهم بصوته الخشن ويرعبهم بقوله "انتم محاصرون القوا ياسلحتكم وسلموا انفسكم بأنقص الخسائر البشرية " فجأة فتح بابا الحوش فاضاء نوره المساحة الامامية للمكان فكشفت سيارات الشرطة وظهرت من بعيد بدلاتهم فردد جابر .

ـ " لا تتحرك ايها القادم انت محاصر واي حركة منك ستقتل ارفع يديك الى فوق "

كان الخارج من الحوش بالتأكيد ابو اسماعيل ومعه منصور القروى وعبد الحفيظ الحجري كانت تبدو على وجوههم علامات الدهشة والرعب

تلعثم عبد الحفيظ الحجرى وقال بعد ان رفع بكلتا يديه الى الفضاء

ـ " لست الفاعل والله انّى مجرّد شاهد خير"

ردد جابر بعد ان تحلّق رجال الامن حول المتهمين

ـ "لا مجال للانكار كلكم مذنبون وأين الآثار؟ وهل رابعكم ما يزال بالدار؟"

ـ ابو اسماعيل .."يا سادة أخبرونى ما الحكاية اكيد يوجد هناك التباس بالامر "

ـ منصور القروي .."تبا لقد كشف الامر لطالما تسترنا وعملنا جاهدين على ان يتم الامر في هدوء وكتمان"

قهقه جابر

ـ هاها ها ... الكذب عمره قصير فلاشئ يخفي عنّا فنحن الامن والامان هنا هيا يا جنود اقتحمو الدار واجلبوا ذاك الغريب ومعه الاثار "

ـ ابو اسماعيل "على مهلكم يا جماعة فلا يوجد بالدار غير عائلتي واولادي الصغار"

ـ عبد الله " لا تنكر ايها الغشاش لقد رايتكم وسمعت كل ما دار بينكم من احاديث ومخططات في الضيعة "

ـ منصور "انت حتما أخرق يا عبد الله وكيف لك ان تخبر الشرطة بما يخصنا "

عبد الله " انها جريمة يا هذا وانا لست بشيطان اخرس"

(خرج الجنود من الحوش بعد ان فتشوا كل ركن فيه وكل غرفة حتى سمع الجميع صراخ الاطفال وعويل امراة تستغيث)

ابو اسماعيل "لا حول ولا قوة الا بالله اللهم اجرنا من الفتن وكثرة المحن"

احد الجنود يردد"..سيدي لا يوجد احد بالدار ولا توجد آثار "

جابر يردد وهو متعجب

كيف يعقل هذا فنحن بالموعد وبكل دقة ؟ هل هربوا بهذه السرعة؟"

عبد الله .."بالتأكيد ياسيدي فالغريب لديه سيارة "

منصور " هل اخفض يديا يا سيدي ثم اخبرك بالحقيقة"

ـ جابر "جيّد انّه اعتراف والاعتراف سيّد الادلة هيا كلكم الى المركز خذوهم"

استقلوا جميعم سيارات الشرطة متجهين الى المركز يالها من ليلة مزعجة يخلدها التاريخ من خلف مكتبه اردف جابر يقول

ـ "من منكم سيخبرنا بالتفاصيل وبالحقيقة كاملة"

ردد منصور ."أنا سيدي لانّي اكثرهم من شجع على هذه الفكرة فلولايا ما كانت آثار الآن بعيدة عنا "

جابر " تقّر انّ آثار الان خرجت من القرية"

منصور" نعم سيدي وصحبة السيد جوزيف ذاك الذي ينعت بالغريب مع انه بات منا والينا"

جابر "كم دفع لكم ؟"

ـ ابواسماعيل" ما يقره الاسلام"

ـ جابر تبا لكم وهل لآثار بلدكم ثمن ولتاريخ ارضكم ثمن "

عبد الحفيظ" لا مطلقا ..انه سوء تفاهم يا سيدي ان آثار هي أختنا الوحيدة وقد طلب السيّد جوزيف يدها منذ ثلاث سنين ولكن ابي عارض زواجها من أجنبي ومنذ ذاك الحين لا يكاد يرحل عن ارضنا وقريتنا فهو حتما يحبها و حين صارحنا اختنا وكانت من الراغبين فيه بشرط ان يدخل جوزيف للاسلام كذلك استشرنا ابو اسماعيل وهو المأذون الشرعي الذى اتّم العقد وشهد اسلامه وكنت انا ومنصورشاهدان على العقد فان كنت تسمي الزواج عملية وصفقة ولها ثمن فاننا نراه قبول ورضا بأخفّ الاضرار وكّنا نتستر على الامر خشية ان يتفطن والدنا بالامر فيعارض تلك هي الحكاية بأكملها "

انتفض جابر واقفا وصرخ في وجه عبدالله :

ـ ماهذا الذّي أسمعه يا عبد الله انّك أحمق فعلا وتخبرني أن الآثار هي ارضنا وعرضنا وهي فتاة من قريتك"

ـ عبد الله " كلا ياسيدى انّى والله عنيت آثار ابنت الشيخ القروي وهي ايضا

اخت عبد الحفيظ ومنصور اما عن الغريب فهو الان زوجها"

ـ جابر " قاتلك الله يارجل وجعلتني اخصص جهازا امنيا باكمله وخططا وحصارا لاجل عقد زواج لـكن على العموم تبقي آثار منا والينا ارضا ونساء "

التفت الى الضابط بجانبه وقال

ـ يقفل المحضر في ساعته وتاريخه"

ثلاجة الموتى

ـ ثناء.. "حسنا كفاك تذمرا و ادفع معي النقالة حتى ندخل المصعد"

ـ..حسام .."ألا ترين أنني مشغول "

ـ" ثناء..." جيدّ مشغول كعادتك بمكالمة عاطفية واترك العمل منوط في عهدتي "

ـ حسام.."وان يكن ..عموما انا احاول مهاتفة امي اريد ان اخبرها ان تنتظرنى لنتناول العشاء معا"

(تقف ثناء امام باب المصعد وتدوس الازرار وهي ترد)

ـ " اظنك استأذنت بالخروج منذ دقائق لم عدت؟"

ـ حسام.."لأكمل ما قدّر لي واصطحبك الى المشرحة كعادتنا لانني ادرك تماما انك تخافين الموتي"(تقهقه ثناء)

ـ " تلك ضريبة عملنا كممرضين"

سرعان ما دلفا الى المصعد وثناء تدفع النقالة بهدوء بينما حسام لا يزال يحاول مكالمة امه فتح باب المصعد مباشرة على رواق طويل ممدد في الطابق السفلي كانت الاضواء طيلة الممر تتراقص وكأنها ترحب بالقادمين اردفت ثناء بصوت عال مسموع وعيناها تجوبان المكان المخيف الغارق في

صمت رهيب لتدفع عنها شبح الخوف وتتفادى رؤية الجثة الممدة فوق النقالة والمغطاة بلحاف ابيض قالت

-"هل يوجد عطل بالكهرباء ؟"

اجاب حسام:

-" ربما ..وربما لا على كل لا تخافي انا معك ..وليست بالمرة الاولى التى تنطفئ بها الاضواء فالمشفى بأكمله يحتاج الى اصلاحات والان استسمحك عذرا اريد انهاء مكالمتي هنا اما انت فادخلي الجثة الى المشرحة فالباب مباشرة امامك"

- ثناء" الا تبتغي الدخول وتساعدنى لوضعها في الثلاجة

-كلا اهتمي انت بالامر"

- ثناء"..اذا تعدني بان تبقي هنا بالرواق وتظل تحاورني بصوت عال"

- "هاهاها ..يا لهذا الكم الهائل من الخوف لديكن انتن النسوة صدقيني لا شئ مخيف في هذا الكون عدا الانسان الحي هيا ادخلي يا صغيرة فعملنا طالما تطلب منا الصبر والشجاعة على تقبل الامور "

دفعت ثناء النقالة تجاه الغرفة ومدت يدها ودفعت الباب المتحرك وهي تتكلم بصوت مسموع لتزيح عنها شبح الخوف والذي كلما خطت خطوة داخل المشرحة استبد بها الرعب وتجمدت اواصرها لامن شدة سقيع

الثلاجات بها ولكن لرهبة المكان الغارق في صمت القبورحادثت حسام من داخل الغرفة قائلة

ـ"هل تعلم ان هذا الشخص الممد امامي أصيب في حادث اليم للتو فقد كان منذ لحظات ينعم بدف الحياة والان هو جثة متجمدة لعل تهوره وطيش الشباب فيه اودي بحياته "

ـ حسام "على العكس تماما لقد كان شخصا رصينا حتى انه كان يترجل على الرصيف حين داهمته سيارة كان صاحبها مخمور"

ـ ثناء " مسكين هذا ما نسميه بالقضاء والقدر فليرحمه الله "

ـ حسام" هل تهابين الموت "؟

ـ"ثناء" انّما اخاف الفراق الفجائي ودون رجعة "

فجأة برزت يد الجثة من النقالة وظهرت امامها ارتعبت لوقع المنظر وبرباطة جاش وصلابة مصطنعان اعادت اليد الى فوق الجثة وغمرتها باللحاف ثم اقتربت اكثر صوب صناديق الثلاجة وطفقت تفتح واحدا شاغرا حتى سقطت اليد الاخرى من الجثة تفاجأت ثانية وقد تراجعت الى الخلف خطوتان عيناه تحدقان في الجثة المغطاة وكأنّها تنتظر ان تنهض من مكانها او ان تسقط بالكامل على الارض ففي مثل هذا الوضع كل شئ جائز وقد استبدت بها الهلوسات والافكار الشيطانية المرعبة حتى انها بدا يتناهى الى سمعها اصوات الجثث الاخرى من خلف صناديقهم يرددون اقوال من قبيل

ـ "انا هنا ....مرحبا ... اه ..اه ..أنت شجاعة .. المكان بارد جدا ....اين حسام ..حسام"...

ارتعبت اكثر ورددت

ـ" حسام هل مازلت هناك إنّه حقا أمر مخيف"

ـ حسام " لا تخشي شيئا مازلت معك بالرغم انّى أخاف الاماكن البارد والطقس البارد الّا انّني مجبر على أن أكون هنا معك"

ـ ثناء"اه بالله عليك متى تنهي مكالمتك وتأتي لمساعدتي انه ثقيل ولا اقدر على حمله الى الصندوق"

ـ حسام " لا أعلم فأمّي لا ترد على مكالمتي أخشي أنّ مكروها قد أصابها "

تراجعت ثناء خطوات اخرى الى الوارء وأخرجت من جيب .....ميدعتها...جوالها لتحدد كم الساعة فعلمت انها منتصف الليل

اردفت تقول

ـ" لا اظن ان امك ستنتظرك للعشاء ربما غلبها النعاس فنامت ثم ان الارسال لا يعمل في هذا المكان كيف لك ان تهاتفها"

وعلى حين غرة وقع من الجثة شيئا كساعة او جوال

صرخت ثناء وقالت :

ـ وماذا بعد؟ انجدني يا حسام بت اخشي ان تتحرك هذه الجثة "

ـ "حسنا انا قادم اليك"

ـثناء"..يا الاهي انقذني ياحسام الجثة داخل الصندوق كيف فعلت ذلك؟ "

ثم دلفت الى الرواق فيما كان حسام خلفها يحاول تهدأتها

ـ "حسنا اهدئي انا هنا لا تقلقي ارأيتي لن اتركك لا تخافي هيا اجلبي النقالة واللحاف ثم ذلك الجوال الذي سقط صدقيني لا شئ مخيف انها مجرد هلوسات "

تحاملت ثناء على نفسها وايقنت في داخلها ان مرد هذا كله التعب في العمل والهلوسات ومجرد رؤى خاطئة وسراب ثم دلفت الى المشرحة مرة ثانية واتجهت صوت الهاتف الذي وقع من الجثة اخذته وهي تردد بصوت عال

ـ حسام إنّه يشبه جوالك ..حسنا أنا شجاعة فلأزيح اللحاف عن الجثة وأطبق عليها الصندوق ولترقد بسلام"

فجأة كانت الصدمة أكثر وقعا على روح ثناء حيث تملكتها رجفة الخوف

ودبت في أواصرها رعشة باردة كبرودة المكان فلم تكن لتعلم أهي ميتة أم حية من شدّة قوة المنظر الذي أمامها صرخت بأعلا صوت لها بأنفاس لاهثه تتسابق مع دقات قلبها المسرعة

وقد تصلبت قدماها ولم تعد تقوى على حملها تناثرفيها الحزن كغيمة شتاء قارسة في أنحاء جسدها ولوهلة واحدة ضعف نبضها وسقطت على الارض دون حراك .

لانعلم كم من الوقت قد مر لكن كل ما نعلم انها اخيرا فتحت عيناها الذابلتين وتعلو محياها الدهشة والتعجب لتجد نفسها فوق سرير المشفي في عناية طبية وقد تحلق حولها جمع من زملائها الممرضين والدكتور خالد انها تعرفه جيدا يردد:

ـ "مرحبا بعودتك آنسة ثناء لقد عهدتك شجاعة وليست بالمرة الاولي التى تنقلين فيها الجثث الى المشرحة "

أردفت بصوت تملأه الغصّة والخوف:

ـ إنّه حسام يا دكتور لقد كان ممددا أمامي جثة هامدة"

الدكتور خالد:

ـ "وهل كنت تظنين غير ذلك لقد توفي الليلة اثرحادث سير فور خروجه من المشفي "

ـ "ابدا لقد كان معي يساندنى ويشجعني ودخلنا معا المشرحة ونحن نتحادث"

الدكتور يخاطب الممرض:

ـ "حسنا إنّها تحتاج الى الراحة أكمل ذلك المصل وأحقنها في الوريد نريدها أن تكون هادئة تماما وأن تتقبل فكرة موت"حسام " زميلها فهي مازالت تحت تأثير الصدمة "

جلسة استحضار ارواح

بطرقات خفيفة على الباب كانت تردد متسائلة

ـ"سيد حيدرهل انت بالداخل"

تمالكت نفسي رغم الوجع الساكن بداخلي وببطء في خطواتي تقدمت وفتحت الباب لها كانت جارتي الآنسة سارة

ـ "نعم انا بالداخل ماذا تريدين مني ابتغي ان انام بسلام ؟"

ـ " فقط اردنا انضمامك معنا الى جلسة الارواح التى تنفذها السيدة عبلة جارتك المقيمة في الشقة المقابلة لك"

ـ "انتم تعلمون جيدا انني امقت مثل هذه الجلسات ولا أصدقها"

ـ" فقط من اجلي سيدي انه امر هام يعنيك"

رددت على مضض

ـ "حسنا لنرى ما تصنع السيدة عبلة"

سرعان ما اغلقت باب شقتي خلفي وتوجهت الى شقة جارتي وكانت سارة تسبقني بخطوات دلفنا الشقة وبالرغم من كون لا احد من الحضور اعارني اهتماما الا انني القيت التحية عليهم كان المكان باكمله يغرق في عتمة مخيفة عدا بصيصا من ضوء الشموع ينير الزوايا والستائر منسدلة تقاوم دخول اشعة الشمس كان هناك جمعا يضم ثلاثة رجال وامرأتين اظننى اعرفهم ذاك السيدة "طارق" صحبة ابنه "ماهر" وهذا سيد "معتز" مع زوجته "بلقيس" وتلك جارتي عبلة " انهم من سكان عمارتي

كانوا يتحلقون حول طاولة مستديرة الشكل يضعون اكفهم في قبضة بعضهم مشكلين دائرة وقد رسمت على الطاولة رسمة نجمة وعليها بعض النقوش

وكلمات غريبة لاول مرة اشاهدها ..شعرت برجفة خوف طفيفة لذلك اتجهت الى الستائر احاول اماطتها الا ان صوت عبلة ردد

"ـ سارة ارجوك اخبري ظيفك بان يهدأ لا نريد ان نقلق راحته فليترك الستائر"

"سيدة عبلة انه يبتغي النور وانت تعرفين ذلك"

جلست وسارة في ركن الغرفة كغريبين لكل منا كرسيه الخاص وبت اتابع كومة الاسئلة التى تتطرحها عبلة عليّ وكأنّني في مخفر شرطة

ـ "من زارك ليلة امس؟"

فقط انّه حفيدي جاء كعادته يترنح من الشرب في وقت متأخر من الليل يريد ميراث امه معللا ذلك بانه خسر صفقته وباع بيته وضاع ماله لكنّي لم اعطه فلسا مادام يتصرف بلامسؤولية و دون وعي لا يحافظ على ماله او نفسه وقع شجار بيننا لكن هذه المرة كان عنيف الطبع احمرّ وجهه غضبا واشتعلت عيناه غيضا فردد كلمات لم افهم معناها قال

"انا الليلة ساهديك تذكرة سفر بلا عودة"

غريب من قال انني اريد السفر ثم فجأة احسست كعادتي بوجع مؤلم في احشائي لطالما كان بين الفينة والاخرى يلازمني حتى وقعت على الارض فاستنجدت بحفيدي الذي خرج مسرعا يحاول ايجاد اسعاف لي كان رأسي فوق السجاد مما جعل بصري يتجه مباشرة الى تلك القطعة الصغيرة التى وقعت ارضا وتدحرجت تحت الكرسي انه زر معطف حفيدي وقع منه حين كنا نتشاجر حاولت ان اخبره بذلك لكن لم استطع واغمي علي

ـ عبلة "هذا يكفي لقد عرفنا القاتل اشكرك آنسة سارة"

ـ سارة "انه نفس الشخص الذى اصطدمت به في ممر العمارة وفي نفس وقت حدوث الجريمة حين كنت عائدة من عملي كممرضة"

ـ عبلة" لذلك قام بطعنك لانك تعرفتي عليه اشكرك آنسة انت والسيد حيدر اخبريه ان يعود الى حيث ينعم بالهدوء والراحة والسلام وانت ايضا سارة لروحك السلام"

كنت استمع الى كلماتهم وانا كالمعتوه اظنهم يتحدثون عن شخص اخر سواي لكن سارة اردفت تخبرني

ـ" دعنا نرحل سيد حيدر فهذا المكان لا يناسبنا بعد الآن وهذا العالم لم يكن يوما مريحا لكلينا"

جنـــــون امرأة شرقـــــــــية

جلست فى شرفة فيلتها تستنشق الهواء النقى مرهقة من ضوضاء الحفل الصاخب الذى تقيمه هاربة من الركن المخصص لعلية القوم بصفقاتهم ومجاملاتهم و سحب الدخان المنبعثة من سجائرهم الكوبى الفاخرطالما كانت واحدة منهم ولكنها الليلة لا تميل للصخب والمجاملات هو يعلم عنها حبها للهدوء و ان كان يتذمر من طباعها بين الحين والآخر ولكنها اطمأنت قبل أن تنسحب الى الشرفة أنه منشغل عنها بضيوفها ياله من رجل تمتدّ علاقتها به لسنوات طويلة حتى قبل طلاقها كانت زوجة لرئيس الشركة التي يشتغل بها كانت مثالاً للتحرر والانطلاق أبهرته جرأتها وفتنه جمالها فهي رغم ثراء عائلتها من أصل ريفى محافظ كانت تشعر أحياناً أنها تعجبه هي الآخرى ولكن عقلها يرفض الفكرة فبين الصداقة والحب وهذا الصمت الرهيب ..كلمات لا تزال عالقة في الحنجرة تتطلع للخروج لكن معناها اقوي منها ..فتظل بالداخل تعتصر رغبات بالعقل. لـكن لا شئ معها سوى رغبة و شوقا يحترقان معا بعيدا عن ضجيج العالمين .بالرغم ان كلها ضجيج اختارت هذه الشرفة لتعتزل وباعتزالها قرارات تبحث لها عن مبررات وتعلات ..هل تصارحه بحبها مذ كانت متزوجة ؟ أم ستكون الايام كفيلة باعلامه ؟ لا .بل ربما تختار أن تجسّ نبض قلبه أولا لعّله لا يبادلها الحب

فتقع في غيابات الشوق و الآلام تتجاذبها امواج من الافكار بينما هو بالداخل ما يزال مترنحا يهتم بالضيوف ...وبعد انقضاء مدة من الزمن وجيزة اقبل بوقع حذائه الفاخر نحو الشرفة تعلو محياه ابتسامة

لاتدرك معناها قد تكون ابتسامة..سخرية من الاقدار التي جمعتهما أو هي ابتسامة الظفرلاحساسه بكونها صارت مغرمة به فلنقل هي ابتسامة غامضة تحمل العديد من التفسيرات قد تعلن بدء حكاية حب جديد

أقبل يمشي مثقول الخطى مترنحا يتمايل ذات اليمين وذات الشمال

اسرعت اليه تتلقفه كالوليد بين احضانها واجلسته فوق الكرسي الهزاز نظرت اليه بحنو العاشق سالته ان كان بامكانه الجلوس لوحده وتابعت حديثها عن اجواء الحفل الصاخب والمعاملات الادارية والصفقات

التجارية وهي تدرك بداخلها انها تتملص من صوت حنينها الذى يدفعها دفعا الى سؤال جاثم في قلبها"هل تراه يحبني كما أعشقه؟

وفي غفلت منها امسك يدها وجرها بعنفنحو الكرسي حتى كادت أن تقع بين أحضانه ثم اردف قائلا

بصوت خافت تقطعه شهقات الخمرربما.

.."ميرلين احبك احبك "

.احمرت وجنتاها وتلعثمت كلماتها ثم وقفت امامه وقد انسدلت خصلات من شعرها الذهبي على رقبتها ثم قالت له

ـ " انت مٍتعب يا آدم ساقدم لك كٍأسا من الماء وعليك بالمغادرة لتخلد الى النوم قليلا "

تطلع في وجهها المشرق وقامتها الهيفاء .

واخبرها انّهٍ لم يكن قطّ صاحيا اكثر من هذا الوقت وهو يقصد ما قاله فقط تطلب الأمر شجاعة وجرأة إضافية كي يخبرها لم تكن قد تأخرت الكلمات بعد فالزمان والمكان مناسبين للقول ..ولانها امراة حرة ومتحررة فقد قررت أن تحلم وتتخلى عن الواقع لكنّه ليس بحرّ فمازال رجل متزوج ورب اسرة وليس من حقه أن يتخلّي عن زوجته وابنه كذلك ليس من حقّها ان تحب رجلا بمثل مكانته كان في ما مضي صديق زوجها فلتدع الكلمات التى قيلت تذهب مع نسمات الصيف علة هذه الشرفة و بعد انقضاء وقت الزمن بين صمت قاتل وسكون عاصف بينهما اخبرها ان كل لمعاملات لهذه الليلة جيّدة فلا باس ان انصرف الجميع دخلت الى ضيوفها تشكرهم تقبل دعوتها وشرف .

وجودهم على امل ان تلتقيهم مجددا ثم شيئا فشيئا طفق الحاضرون بالمغادرة وبدأ ضجيجهم يخفت الا ضحيح روحها الصاخب لا يهدأ اتجهت نحو الشرفة تناديه بصوت موسيقي عذب ترقّ له الانفس

ـ "يجب أن تغادر لقد تاخر وقت عودتك لبيتك"

وأيّ بيت هذا؟ وقلبها سكنا له نهض من كرسيه وهويفتح ربطة عنقه وكانّ كلماتها قد خنقته اكثر من واقعه ...رفع نظره اليها وقد ارهقه الحفل وهو يتنفس الصعداء وكأنّه لا يقوى على البعد

لكن تحامل على نفسه واتجه نحو الباب أدار ظهره اليها وهو يقول بثبات

. "ميرلين لقد قصدت ماقلته لك في الشرفة ومازلت أعنيه "

تركت كلماته في نفسها وقعا لا تدرك. معناه هل تفرح أم تتالم هكذا جذبتها أمواج الشوق والغرام نحو شاطئ الأحلام يا لعظمة القدير وحده يرحم تضرعها ويغفر لها هذا الحب العنيد

الآن وقد رحل وأخذ معه قلبها تاركا لها حفنة من الشوق والشك والكثير من الاحلام والتفكير .صعدت سلالم فيلتها الي الطابق الثانى معرجة على

غرفة في نهاية الممر وقد زين بابها باشرطة على شكل ورود متفاوتة في الحجم بألوان مختلفة بين حمراء صفراء وزرقاء فتحت الباب برفق وحنان وأطلت برأسها الى داخل الغرفة التى كانت تغرق في ضياء وردي خافت يبعث في النفس راحة ونشوة الحياة يجذبك بلا وعي الى متعة الإستلقاء والنوم قد لا يظهر أثاث الغرفة بوضوح فبالكاد نلمح .

من بعيد تخت كبير تحيط على جوانبه ستائر حريرية وردية تتوسط التخت طفلة ملائكية الطلّة تغفو ببراءة الاطفال ملامحها تشبه والدتها هي كأميرة نائمة أعياها الانتظارفنامت مترقبة قبلة ما قبل النوم من امها."ميس "هي وحيدة ميرلين وهبتها لها الاقدارك أجمل ما تكون الهبات .

اطلت ميرلين برأسها داخل الغرفة فإطمئنت لوجودها اتجهت نحو فراشها وانحنت تدثرها بعد أن طبعت على جبينهت قبلة وتمنت لها أحلاما لذيذة ثم غادرت الغرفة بعد ان أوصدت الباب خلفها .

كانت الساعة الحائطية تدق وتشير الى الرابعة صباحا ليس من داع الى السهرا كثر هكذا اخبرتها نفسها فارتأت ان تدخل غرفة نومها لترتاح من تعب الحفل لكن عبثا حاولت فما زال بداخلها صوت يحدثها عن هذا الرجل ...هو الان في بيته وبين اسرته ينعم بدفء الاحلام استدارت نحو غرفة المكتبة والتى طالما كانت لطليقها .

ينفرد فيها بصفقاته ومشاريعه وشرب قهوته مع اصحاب النفوذ امّا الآن وقد ارك لها الفيلا والشركة وحتى إبنته ..لم يكن من الهيّن عليه أن يترك لها كل ثروته لكن إستنادا الى عقد الشراكة بينهما وفقا لعقد الزواج فقد اختار كل منهما نصيبه وكان من نصيب ميرلين الفيلا إلا أن طليقها باعها الشركة مقررا العودة الى موطنه الأم ..دخلت غرفة المكتب واستلقت فوق الكنبة الطويلة الفاخرة تحدق في ارجائها ماكانت يوما لتسترجع ذكرياتها انما هي تفكر في المستقبل ميرلين كانت ابنة لرجل مسلم محافظ من الريف

أمّا والدتها سيدة راقية مسيحية دخلت الاسلام مذ زواجها .

لقد كانت طفولة ميرلين ممتعة و شبابها مزهر الى ان تزوجت من احد اقرباء والدها والذي ظهر له في بداية الامرانها سيدة جامعية متخلقة جميلة ومثقفة لكن بالرغم من حسن أخلاقها و خلقها فقد تزوج بثانية يحق له ذلك أخذتها أحلام اليقظة ودون وعي منها وعن غير قصد ثقلت أجفانها وداعب النوم عيناها فتركت جنون الواقع وغرقت في حلم لا متناهى لا ذكريات فيه ولا مستقبل فتراخت أطرافها فوق الكنبة واستسلمت لنوم عميـق .

شعرت بدغدغة فوق خدها وصوت عذب يناديها :

"ـ امي افيقي انه موعد الافطار"

.فتحت جفونها بثقل النائم وحضنت ابنتها طويلا ثم وشوشت لها في اذنها

ـ "هيا يا اميرتي اذهبى للحمام .

وجهزى نفسك ساوافيك الى غرفتك حالما اجهز فطور الصباح

حتى اسرح لك شعرك"

. لطالما تعودت ميرلين بان تقوم باعمال .

البيت لوحدها دون كلل اوملل من تنظيف وكنس ومسح الغباروغسل ناهيك عن الطبخ الذى كانت السيدة الاولى فيه ولا ننسي تهيأة ميس للمدرسة قبل وصول الحافلة المدرسية ودون تذمروبلا اعياء تنظف حديقة المنزل تسقي

الاشجار والزهور ثم تعتني بطيور ابنتها التي تعشق الوانهم واصواتهم ...والان وقد اضيف الـى ميرلين وظيفة اخري ألا وهي.ادارة الشركة باعتبارها المسؤولة الاولى عنها بعد طلاقها وسفر طليقها مع عائلته الجديدة الى بلد في الشرق الاوسط .

لذلك لم يكن امرا صعبا برغم قلة خبرتها في ميدان التجارة في استراد وتصدير السيارات فقد كان " ادم "عونها الوحيد بحكم خبرته وحنكته في هذا المجال ...فهو رئيس قسم مصلحة التوريد والتصدير .

سرعان ما نهضت ميرلين وغسلت اطرافها واتجهت نحوالمطبخ الايطالي التكوين والفرنسي الالوان وبزخارف عربية عريقةجهزت فطور ميس واسرعت اليها تمشط شعرها الحريري وتضع اشرطة حمراء تتوافق وتنورتها الربيعية المنظر وبعد عشر دقائق سمعتا جرس الباص قبلتها وتمنت لها يوما سعيدا...كانت ميرلين تسرع .

الخطى وفنجان قهوتها بيدها اليمنى محاولة ان تسابق الزمن فتارة ترتدي الجينز ثم تعرج نحو الخزانة تخرج منها بلوزة خضراء باهتة اللون تناسب لون عيناها تترشف قهوتها من جديد وتتجه نحو المرآة تسرح شعرها وترفعه الى فوق .

تاركة بعض الخصلات منسدلة على رقبتها، تسرع اكثر فاكثر فتضع بعض من قطرات .

العطر. الفرنسي الصنع تاخذ الحقيبة بيدها وتنزل الى الطابق الارضي حيث تضع،فنجان قهوتها على الطاولة ثم تتجه نحو الباب الرئيسي .....حقا ينتظرها يوم حافل

استقلت ميرلين سيارة اجرة وقصدت الشركة كانت الافكار تحيط بها أينما جالت بنظرها عبر نافذة السيارة فلا تكاد تسمع الا صوت" ادم" بكلماته العذبة..انها لاتعلم حقا اكان يعني ما يقول ام هي مجرد خيالات وحروف وكلمات تلاشت مع اول بزوغ خيط فجر .سرعان ما وصلت امام بناية كبيرة ذات ثلاث طوابق بنوافذ زجاجية وسور ابيض تحيط به اشجار الصنوبر بهاماتها الطوال كأّنها تحميه يتوسط السور باب ازرق عريض مفتوح الجانبين يكشف عن درجات رخامية بيضاء صعدت ميرلين الى الشركة بكل ثقة تحمل بين يديها حقيبتها واتجهت عبر الممرات نحو مكتبها الخاص والكل يحييها بتحية الصباح ....

- "نهارك سعيد سيدة ميرلين" ...".اسعد لله يومك سيدتي"

- " اهلا سيدة ميرلين"

..... وضعت الحقيبة فوق المكتب وشغلت الحاسوب وجلست بكل ثبات فوق كرسيها طالبة من السكرتيرة ان تاتيها ببعض الملفات الادارية ودون وعي منها اخبرت السكرتيرة ان تطلب من السيد " ادم جلال" الحضور لمناقشة بعض الامور لكن السكرتيرة سرعان ما اخبرتها ان السيد ادم لم يصل بعد..

ترك هذا الخبر في نفس ميرلين الحيرة والاندهاش اتراه ما يزال نائما

بعد الارهاق الذي شهده في الحفل ليلة امس ...ام انه يهرب من مواجهتها...بل قد يكون

اصابه مكروه فقدغادر البارحة هو ثمل لا يقوي على القيادة.وبينما تتجاذبها الافكار وتتاكلها الظنون رن جرس هاتفها رفعت السماعة فدق قلبها بقوة وارتجفت اطرافها وتلعثمت خلف لسانها حروف الرد انه صوت ادم وبهدوء تام وبصمت رهيب دام طويلا كانت مرلين .

تردد طوال المكالمة عبارتي" طيب."..حسنا.

وضعت السماعة برفق وقلبها يعتصر الالم ..لم تكد تلفظ اي حرف لكنها احست باختناق شديد وحرارة تمتلك جسمها كانت نظراتها تجوب المكتب دون استقرار وكانها تتملص من الدمع الذى زاد من بريق عينيها لكن في النهاية ينتصر الدمع فمهما تمالكت نفسها .

ومهما تصنعت الشجاعة في نهاية المطاف هي انثى مجنونةعبثا تحاول تغيير قدرها .

لابد ان كلماته كان لها اثرا بالغا في روحها البريئة

رحماك يا رب من هذا الالم المستعذب تمالك نفسها شيئا فشيئا ومسحت بمنديلها قطرات الدمع وحاولت جاهدة اخفاء يئسها خلف ابتسامة خفيفة ..ووجه مشرق وبقناع .

اللامبالات .والضحكة المصطنعة استطاعت ان تنهي كل معاملات يومها في الشركة وبرغم غياب ادم عن ناظريها فقد ظلت تفكر فيه طوال الوقت ادام الذى خنقها بكلماته فتارة يعترف بحبه لها هذاالامر الذى تطلب منه جرأة وشجاعة في البداية فقد تطلب منه نفس الجراة والشجاعة ليخبرها انه اب مثالى وزوج مخلص.فقد تداخلت عليه .

مفاهيم الاعجاب ..والتعلق. والحب فهو رجل شرقي متسرع بعض الشئ لكن يظل في نهاية الامر متمالك نفسه يعزف عن خوض امور العشق بعيدا عن زوجته ام محمود" ....هنيئا لها من زوجة محظوظة ..تساءلت ميرلين لماذا لم يكن عزيز طليقها يوما ليحافظ عليها وعلى ابنتيهما كما يفعل آدم..لئن تمكن ادم من اقناع نفسه بان حبه لميرلين مذ كانت متزوجة هو مجرد اعجاب ..فانه لم يستطع اقناعها بتلك الكلمات

الواهية وهل يستمر الاعجاب لسنة كاملة؟ ومتى كان التعلق ليس حبا؟ فنحن لا نتعلق بالشئ الا اذا احببناه...يا لسخرية الاقدارعموما تحمد القدير انها لم تصارحه اولا او حتى لم تجاريه حباعلنا لطالما كانت ومازالت متعقلة به...ستظل تحبه بينها وبين نفسها

في عالمها الافتراضي وعقلها الباطن .اليوم كانت حجته التعب للتغيب عن العمل لكن ما ستكون حجته غدا!!.؟...وهل فعلا هو معجب وليس بعاشق؟.....هل سيقدر على مواجهة ايام اخرى كمعجب فقط؟ لملمت اوراقها ونظمت مكتبها واخذت حقبتها انه موعد المغادرة للبيت حيث تتطلع لرؤية ميس خرجت ميرلين من بناية الشركة بعد ان القت التحيةعلى الجميع قررت ان تعود للبيت سيرا على الاقدام حتى تعرجّ بجانب بعض المطاعم لتبتاع العشاء لميس مثلما طلبت منها دائما ..ان الفرصة سانحة لذلك حقيقة يبدو الطقس غائم قليلا والشارع يكاد يخلو من المارة اسرعت في خطواتها تترصد وقت عودتها حتى تستقبل وحيدتها

انتقت اجود مطعم في ابلدة امتاز بطعامه اللذيذ واكلاته المتنوعة اضافة عن كونه افضل المطاعم التى تروق لميس سرعان ما اقتنت طلباتها وخرجت بدأت زخات المطر تتساقط .هذا ما لم يكن في الحسبان اسرعت الخطى لكن كان المطر اسرع.ابتسمت بسخرية .

وهي تردد :

-" هذا ما ينقصني ....ليت الحظ حالفني يوما .... ربما من الاجدر

ان اوقف سيارة اجرة" .تبا تحظى بشركة للسيارات ولا تملك واحدة لطالما اخبرها عزيز ان تتعلم السياقة لكن خوفها الشديد من الطرقات منعها وطول ها الوقت لم تمر ولو سيارة أجرة واحدة فلتكمل سيرها

وفي غفلة منها احست بمحرك سيارة يتجه نحوها وبدا شيئا فشيئا يهدأ استدارت الى الخلف وقد انحلت عقدة شعرها فانسدل على الاكتاف بخصلات مبتلة زاد من جمالها تحت المطر.. كان محياها يتصبب منه رذاذ المطر وكانها غريقة في بحر تطلب لنجدة....رفعت بصرها انها تعرف هذه السيارة انها "لادم "

ـ ".اه ياربي ليس هو ثانية"

هدأ محرك السيارة بينما فتح ادم باب السيارة المقابل لها خاطبها قائلا

ـ "ادخلي من فضلك..الجو ممطر ولا شك انك تريدين العودة الى البيت"

خاطبته ببرود تام كما الطقس

ـ "من السيد ادم ؟.شكرا لنبل اخلاقك وكرم عطفك .انا انتظر تاكسي"

ـ "وهل ترين واحدة...؟ هنا الكل يرحل دون ان يلمحك حتي"

ـ "صدقت لن يلمحني احد ..وهذا ليس بغريب عنى فانا تعودت السير وحيدة"

ـ "ليس اذا صادفتك انا ...او لمحتني انت"

ـ "من فضلك سيد ادم انا في عجلة من امري وعندي ارتباطاتى"

ـ "تماما هذا ما اعنيه ..هيا اصعدي الي الداخل وساقلك الي حيث تشائين"

ـ "عفوا طريقي يخالف طريقك فلسنا باتجاه واحد"

حينها تاكد ادم ان ميرلين غاضبة منه فكل كلامها ايحاءات و اجوبتها تلميح نزل من سيارته واستدار قبالتها وامسكها ما ذراعها وادخلها السيارة غصبا ثم اغلق الباب واتجه نحو المقود وحرك سيارته فيما

كانت ميرلين تصرخ بوجهه

ـ "او تدرك ما فعلته لتوك"

ـ "نعم انقذتك".

ـ "استطيع ان ارفتك من منصبك ايها السيد انّك متغيب طوال

اليوم وايضا تعاكس مديرتك في مكان عام"

ابتسم بسخرية ..وقال.

ـ" لغيابي مبرر ولن تستطيعي اقالتي او الاستغناء عني فانا موظف كفؤ اما ما فعلته لحيني فانت بمكان عام ومجرد امرأة ناضجة فوق السن القانوني و بائسة أنقذها من البلل"

ـ"نعم انقذتني ..يا لبلاهتي كم انت لطيف"

ـ "ربما ..لكن لو كنت مكانك لنظرت الى ساعتي"

ـ "ما بها ساعتي انه تشير الى الخامسة مساء".ثم سكتت هنيهة واردفت

ـ "يا الله ..اسرع من فضلك انه وقت عودة ميس من المدرسة"

ـ "هذا ماقصدته تماما ايتها المجنونة"

بينما كان يقود بسرعة كانت ميرلين ترفع شعرها فوق وتبحث في حقيبتها عن مفتاح الفيلا ومن حين لاخرتنظر الى الساعة وعندما اشرفا على الوصول طفقت تاخذ بيدها اكياس الطعام وعلبة البيتزا.. اقترب ادم بسيارته نحو سور الفيلا وركنها كان المطر ينهمر بغزارة لكن ميرلين كانت تجوب بعيناها المكان علها تلمح ميس فيغفلة منها اخذ ادم المفتاح وانطلق نحو الفيلا نزلت بدورها. بعده تهرول الخطي استقرا بالداخل مستنجدان بالمنزل من المطر قالت بنبرة قلق .

ـ" انا لا اري ميس ....لم تتاخر الحافلة يوما عن موعدها ترى ما السبب"

ـ "لا تقلقي ميرلين لعل الجوّ الممطر هو سبب كافى لتأخرها"

ـ "او تعرف ادم ميس هي كل حياتي وكل الذي احيا من اجله لم يسبق ان افترقنا يوما ولا انوي يوماأ ن افارقها تماما كما قلت اليوم عبر الهاتف انا اما مثالية وصدر حنون ومخلص لقطعة منى اناشدها ان تزهر وتكبر في قلبي وامام عيني".

ظلت تردد كلماتها وهي تقف بجوار نافذة المنزل. المطلةعلى السور القصير منتظرة في كل ثانية قدوم الحافلة وكان قلبها يخبرها عن امر قد حدث لكن

عقلها يرفض تقبل اي افكار جنونية عدا وصول الحافلة لم يشأ ادم ان يخبرها عن الوقت وكم مضي منه وهي :

تخبره عن حبها لابنتها ربما لكونه اب ولا يريد ان يخيفها ويثير قلقها اكثر او ربما يحبذ الانتظار فلعل المانع خيرا....او انّ بداخله حيرة كبرى ولا يعرف كيف يخبرها فالساعة تجاوزت الخامسة بعد ثلاثيْن دقيقة اقترب خطوتين منها وخاطبها برفق :

ـ "ميرلين ..هل ترغين في ان نهاتف مدير المدرسة ام نغادر للبحث عنها في مكان ما .

قد تتواجد فيه"

ـ "كلا انا وعدتها بان انتظرها دائما امام البيت لن ابرح مكانى حتى تعود"

قاطعها قائلا ..."لكنها الخامسة والنصف لقد تاخرت نصف ساعة باكملها"

ـ "حتى لو تاخرت العمر كله سأظّل مكانى"

تتفوه بكلماتها وعيناها محدقتان نحو الباب

وقلبها مشدود لخيال ميس لعل طلته تنعشه فتعود نبضات قلبها وتنفخ في الميت انفاس الحياة :

ـ "رجاء ميرلين اخبريني عن رقم الهاتف للمدرسة ساستفسر عن الامر انا ايضا قلق لشانها"

استدارت نحو حقيبة يدها وبيد مرتعشة بدات تفرغ محتوياتها اوراق ومذكرة واداوت الزينة ..وتلقفت فجاة .ورقة..كتب عليها الرقم اخذها ادم وسرعان ما هاتفهم لكن عبثا فالمدرسة في مثل هذا التوقيت قد اقفلت والكل عاد لمنزله زادت حيرة ادم اما ميرلين فكانت تجوب القاعة الواسعة ذهابا وايابا وتقف عند النافذة طول الوقت وفجاة ودونما اهتمام ادم صاحت ميرلين ...

- ".صغيرتي ..صغيرتي"

وقفزت نحو الباب راكضة فتحته وواصلت ركضها بقلب يكاد يرقص فرحا وبنفس تحركاتها كانت ابنتها تماثلها نزلت من السيارة تركض نحو امها تعانقها بلهفة المشتاق ،طال العناق ومازال المطر ينهمر فظل الماء يقطرفوق ماء مطر ودموع ادخلها ادم الي البيت ..بينما هناك صوت رجل

اخر يهتف بنبرة حادة ..

- ".يا له من مشهد رو مانسي هذا لانها تاخرت ثلاثين دقيقة فما ذا لو اخذتها نهائيا"....

استقر الجميع بالداخل اما ميرلين فقد. انحنت على. ابنتها وهي تلامس يديها الصغيرتين

واخبرتها بان تصعد الى غرفتها تجفف شعرها وتغير ثيابها ريثما تناديها للعشاء ...انطلقت ميس الى الاعلى تحمل حقيبة ظهرها.... اختار. ادم كنبة في زاوية قرب الموقد وارتاء ان يبتعد عن ميرلين وابو ميس لعلهما

يريدان الحديث عن انفراد..ثم اشعل سيجارته الفاخرة وجلس بهدوء ووضع ساق على ساق لايبالى بما يدور حوله بينا كانت ميرلين تصرخ بوجه عزيز :

ـ "بأيّ حق تاخذ ميس بعيدا عنى دون اذن منى.؟..كيف لك ان لا تعلمنى حتى هاتفيا"؟ ....

قاطعها قائلا ..انّها ابنتى مثلماهي ابنتك. ومتى رغبت في رؤيتها ساصطحبها معي. ومتى اشتقت لها واينما كانت ساتيها حتىهذا بيتي "

ـ"حقا .....كم انت حنو ن ايها الاب واين كنت منذ بداية السنة اليوم تذكرتها...وهذاليس ببيتك وليس لديك الحق في الدخول ام انك. تتغابى وعن بنود القانون تتذاكى. ارحل. ولا تعد الابعد اذن منى ارجع لعائلتك الجديدة.و اتركنا بسلام "

ـ" ماذا تقولين ايتها المراة ..لن ارحل الا ترين ان هنالك غرباء في بيتك ولا احب ان تعيش ابنتى هكذا"

قاطعه ادم بصوت نحنحة ثم وقف بقامته ثم نظراليه وقال

ـ "آسف سيد عزيز ..انا لست بغريب لا اظنك. قد نسيتني وان كنت تصّر بأنّي غريب فكلانا لا ينتمى الى هذا المنزل فانت مازلت طليقها وبذلك انت غريب فالأجدر ان نرحلا معا ما لم تسمح السيدة لنا. بالبقاء"

أجابه بنبرة حادة بعد ان تقدم نحوه بخطوتين وتسمرت عيناه في عيني آدم

ـ "ايها المتحاذق انا ابو ميس ،.. وما انت الا رئيس قسم في الشركة وهنا ينتهى دورك لا دخل لك في االامورالعائلية "

ـ"حسنا كلامك صحيح لكن من المنطق ايضا ان لمثل موقفك اماكن اخرى يحدد فيها التفاهم لانك غريب "

ـ"يا سيد...لا تجبرنى. على ".....

ـ"توقفا هذا ما ينقصني ارحل. عن بيتي والان "

ـ"أهذا ما تريده ايهذا الابله ان تبعدنى عن ابنتي وعن ميرلين "

ـ"ابدااا،...انّما انا رجل متزوج واب لمحمود ولا انوى ترك عائلتى وحيدة كنت هنا فقط لانّى اوصلت السيدة الى بيتها والجو ممطر "

ـ"حسنا ميرلين سأرحل .الآن.. لكن لا أعدك بأن أرحل الى عائلتي. قبل ان اطمئن عن حال ابنتي "

.فقط غادر ..ميس لم تحتاجك. ولن تحتاجك "

اخذ غزيز ينظر. الى. ادم نظرة ازدراء ثم خرج مسرعا ..حينها تاسف ادم. لميرلين .

لمثل هذا الموقف وهم بالخروج اوقفته قائلة لماذا كنت تترصدني في الشارع حتى. توقلني الى البيت لطالما كنت ذكية ميرلين ومازلتي ..نعم. ترصدتك

فقط كنت اهرب من مواجهتك لكن الي متى فاينما اذهب اجدك حتى في احلامي ..وقد تعمدت رؤيتك

حتي تخبريني ما انا فاعل ...اني جدّ حائر بين. حبي لك بمجنون وبين حبي لعائلتي فقط انجديني جدي لي حلاّ امسك يديها بكل رفق و قربهما الي شفتيه ثم طبع قبلة خفيفة عليهما وتمنى لها ليلة سعيدة همّ ادم بالمغادرة وما يزال المطر ينهمر فاذا صوت ميرلين الخافت يناديه

ـ ا"نتظر ادم لا ترحل "

ـ" ما الامر عزيزتي هل من شئ افعله لاجلك؟ "

ـ" نعم ..نعم ربما يعود عزيز بعد قليل وان تعرف انه غادر وهو غاضب اكيد سيرجع ليعاود حكايته من جديد "

.ـ ألم تسمعيه يقول انها امور عائلية ولايتوجب علي التدخل "

ـ"اهكذا تحسم الامر؟ .انا اطلب منك المساعدة "

ـ" اذا اقفلي الباب ولا تفتحي له اواستدعي اليه الشرطة "

ـ" واو احسنت يا بطل .انهّا فكرة مذهلة لقد فاتتني هذه الحيلة "

ـ "بالله عليك اخبريني ماذا افعل ّ..هل اذهب والكمه من اجلك؟ "

استدارت ميرلين نحو باب الدخول وهي تتمتم

ـ" يا الاهي ....احب ابله ليتك لكمته واعاني من احمق.. "..

.ردّ ادم بقهقة عفوية تكاد توقض النيام.. ،..

ـ" من انا ؟ ابله ...هههههههه ايتها السيدة المجنونة "

ـ" اذا هلاّ تفضلت للعشاء معنا انا وميس ستفرح كثيرا الا اذا لم تشأ أن تترك ام محمود لوحدها بالبيت ولك كل الحق "

تقدم نحو ها قليلا وخاطبها

ـ"أم محمود لا تااي الا اسبوعا واحد طيلة شهرين "

ـ" فانا اقيم لوحدي هنا في ازمير وهي مع محمود في وطني "

ردت بالقول والابتسامة تعلو شفتيها

ـ" سأعتبر قولك هذا موافقة منك وأتمنى ان يعجبك العشاء تفضل بالدخول"

ابتسم وردد بكل همس

." أظنّه سيعجبني بقدرما اعجبتي تلك الكلمة "

." ايةّ كلمة؟ انا لم اقل شيئا "

ـ ا"ه بالله عليك لقد سمعتها توا "

ـ" لقد تذكرت .... انها كلمة ابلهـ "

ـ"لا لا قبلها "

ـ"...يا الهي. ".

ـ" لا بعدها تماما "

ـ"تماما ابله "...

ـ" تبا.. قوليها "

ـ" أحب ..أبله "

ـ" نعم تلك هي اعيديها رجاء "

ـ "بعد العشاء إن اردت " .

..ابتسمت ميرلين بشفاه تبعث نشوة الروح للحياة ثم دخل ادم فاغلقت الباب وراءه .

طلبت ميرلين بكل لطف من ادم ان يوقد المدفاة ريثما تنادى ميس ..والتى سرعان ما نزلت من السلالم بقلب مفعم بالنشاط والحبور اتجهت مباشرة الى ادم تحضنه بفرحة وهي تردد :

"الحمد لله انك لم تغادر ..حقا سنتناول البيتزا معا لندع امّي تغير ثيابها وتجفف شعرها ونحن سنجهز السفرة "

.ـ آدم "ولم السفرة ؟ سنبعد الكنبة عن موضعها ونضع سماطا كبيرا مكانها ونضع فو قها الاكل وامام الموقد يحلو العشاء "

ـ ميس".فعلا فكرة ممتازة عمو. ادم ساحضر السماط"

....برغم الجو البارد والليل القارس فان المنزل بالداخل كا ن يملؤه الدفء ..وبينما تنزل ميرلين استوقفها هذا المشهد لطالما احبت صوت ضحكات ميس وآدم يهدهدها ويدغدغها كطفلان يمرحان و قت الربيع ارتسمت على محيا ميرلين اشراقة الامل ونزلت اليهما تجهز العشاء وتنظم الاكل بكل تفنن وحب ودون تكلف بينما كان ادم يرمقها من حين لآخربنظرة عشق واعجاب مضت ساعة بين الكل وتبادل الحكايا والنكات تطرفهم ميس بمواقف من المدرسة ضاحكة حتي حان موعد رفع الاكل ..وبدا النوم يثقل جفون ميس وقد القت براسها على ركبتي امها...فاخذها آ دم بين ذراعيه كريشة تحملها النسمات ثم صعد بها تجاه غرفتها التى دلته عليها ميرلين في الاثناء رفعت ميرلين الاكل ونظفت المكان وبسطت مكان السماط سجادة كبيرة حريرية الصنع وفوقها اثنين من الحشايا .

تناثرت فوقهما الوسائد المتنوعة الالوان انها وبلا شك جلسة عربية شرقية ورثتها عن والدها تفاجئ ادم لروعة هذا المشهد .

واخبرها انها في كل مرة تتحفه بطريقة جذابة وموقف رائع تكسر فيه رتابة الايام وروتين العمل والتعامل لكن ومع ذلك هو لايستطيع البقاء فقد قرر المغادرة فما من ضرورة لوجوده هنا خاطبته ميرلين .

ـ" لكن ماذا لو عاد عزيز؟ "

..قاطعها بقوله .

ـ"عزيز كان يوما زوجك وما اظنك تهابينه بلاشك أنت تعرفين كل سكناته..امّا انا فلا يحق لي التدخل "

قالت بنبرة المستسلم المهزوم :

. فعلا ادم ارحل..شكرا لانضمامك معنا للعشاء كنت اكثر من لطيف أنا جدّ شاكرة لك "

ربما هدأ المطر بالخارج لكن احساس ميرلين بداخلها ما يزال ثائر تردد في نفسها .

(كم. انت وفي ايها الشرقي)

برغم حجم المسافة بينه وبين زوجته وكبر حبه لميرلين الا انه مايزال متماسك بل ومسيطر على عواطفه واحاسيسه يقدس معنى الرابط الاسري والعلاقة الزوجية حد التفانى قد يكون حبه لابنه دافعا قويا ليتنازل عن الحب فلا تضحية امام الابوة .

....غادر ادم وبقيت ميرلين .

تطل عبر زجاج النافذة الى سيارته وهي تبتعد شيئا فشيئا رددت في اعماقها بحسرة

ـ" لو أطلت البقاء معي قليلا لقلت لك انك اشبعتنى حبا وارهقتنى تفكيرا بك لكن قرارك بالمغادرة يوحي بالبعد والهجر وانا كبريائي يمنعنى من تحمل المزيد "

..حينها قررت .

ان لا مفر من الرحيل كبديل فهي لا تتحمل رؤية ادم بالشركة كل يوم كذلك بات امر عزيز يقلقها قد يسعي الى طلب حضانة ابنته وهذا ما لا تتحمله او يثقلها بالقدوم اليها كلما راق له التفكيروالزيارة

لعل الرحيل الى بلد اخر يعتبر حلا مثاليا تتغير معه كل الاوضاع قد نسميه الابتعاد او الاختفاء

لكن يظل في اغلب الاحيان هروب فلنقل هو جنون لكنه افضل من جنونها لحب رجل شرقي متزوج جمعتهما الاقدار وتفرقهما اليوم الاشخاص فلا مجال للبقاء

بكل ثقة وعزم في الفعل دفنت لتوها كل الاحاسيس والمشاعر واقفلت باب قلبها اتجهت نحو غرفتها توظّب حقيبتها للسفر قبل طلوع الشمس

شبح منتصف الليل

كانت نظراته تجوب الغرفة الغارقة في العتمة يحاول التدقيق والتحديق بهما وسط الظلام الحالك في أرجائها . فقد تناهى الى مسمعه صوت حشحشة مخيف خاله في بادئ الأمر زفيف الرياح أو هو غليان قدر بل هي طرقات خفيفة على النافذة وسرعان ما أرهف السمع فاذا هو وقع أقدام تململ في فراشه واعتدل جالسا فلا شئ مخيف في منزله الذي قضى فيه طفولته

هو يدرك كل ركن فيه بأدقّ تفاصيله. ثم لم يلبث أن اقترب هذا الصوت أكثر فأكثر. واذا به في ركن الحجرة نفسها. حركة خفيفة هزّت كيانه. و زلزلت روحه. وجرّدته من كل الاحاسيس عدا الخوف. بل و أكثر من ذلك سرت في كامل جسمه رعشة توحى ببرودة المكان و كأنّه في القطب الشمالي برغم كونه مدثّر بأغطية من صوف. حاول جاهدا أن ينهض من فراشه ليضيء الغرفة لكنّه تذكّر أنّ الكهرباء مقطوع لذلك آوى الى الفراش باكرا فطفق يهدىء من روعه ويطمئن النفس أن لا شيء يبعث للخوف والقلق كلها أصوات حشحشة الرياح لأغصان الشجر وأنّ مخيلته بدأت ترسم صور أشباح وخيالات لا وجود لها في الواقع .و فيما كان كذلك سمع صوتا خافتا كأنفاس تلهث ثم تقترب من أذنه وأحسّ بلفحة باردة على خدّه الأ يمن. ازداد خوفه حدّة لذلك لم يجد بدا من قراءة بعض الآيات من سور القرآن الكريم. لعلّها وسوسة شيطان رجيم.

هدأت الحركة أخيرا وسكنت لفحات الأنفاس.

قرّر أن يتمدد ثانية في الفراش. فجذب اللحاف اليه وغطى رأسه وغاص في أعماق الوسادة حتي لا يسمع أي ضجّة أخرى. بدأ يرسم في عقله أحلاما وهميّة ومشاريع خياليّة و قصة رومانسّية تأخذه الي عالم اللا وعي. وبين غفوة الحلم وصحوة الحياة انتفض واقفا مرتعشا مذهولا فاقد القدرة على النطق نبضات قلبه تتسارع وعيناه جاحظتان ونفسه تخاطبه في لوم وعتاب.. "لم يعد هناك مجال للشكّ والظنّون بات الأمر واضحا وجليّا وما من تفسيرات ولا مسكنات للخوف. اذ هي كانت الصيحة التي سمعها في غرفته وقرب سريره بل في أذنه تماما صرخة قويّة كأنّها صوت طفل رضيع يشكو مغصا في أمعائه.

انتفض وارتعد ثم وقف متحجرا عيناه محدقتان بمكان الصوت لا يقوى على ازاحتهما وعقله يرسم صورة للصوت مرعبة في ذلك الركن الركين من الغرفة المظلمة قد يكون شبح طفل صغير منبوذ قتل قديما فى هذا البيت.

بل يظنّه أكثر من ذلك فالهواجس التى ساورته والذعر الذى استبد به جعله يتصور أشياء لا وجود لها ربما هو صوت لجنى صغير يحاول التلبس به أو اخافته ارتجفت فرائصه وامتقع وجهه خلف الظلمة وتلاحقت أنفاسه وأخيرا لوهلة واحدة سيطر على خوفه وتذكر أنّه يوجد في درج الطاولة قرب سريره كشّاف صغير عادّة ما كان يستعمله أثناء نزوله للقبو بحثا عن بعض الأغراض.انحى انحناءة صغيرة وما تزال عينيه تجولان أنحاء الغرفة وخاصة

ذلك الركن بقربه ثم ما لبث أن أخرج الكشّاف وسرعان ما أضاءه حيث مكان الصرخة لكن لا شئ هناك.

جال نور الكشاف الغرفة بأكملها وتحقق من زواياها وجدرانها لا مجال للخوف كل شئ غارق في صمت قاتل وسكون القبور حتى أنّه تقدّم نحو النافذة وفتحها ثم جال بالنور نحو الفضاء الشاسع والذي غاب عنه القمر. كل الكائنات ترقد بسلام أغلق النافذة من جديد وأقنع عقله أن لاشئ يخيف.

لعلّه مواء قطّة مختبئة بالخارج ... "فعلا هو كذلك مواء القطط أشبه بصراخ الأطفال والصدى بالغرفة جعله قريبا منى.".. ابتسم لسذاجة الموقف وتفقد الفراش ثانية وهمّ للنوم وقد شارفت الساعة على الواحدة. سويعات قلائل وتشرق الشمس بنورها تكشف الغموض وتهتك ستر الليل

هذه المرة حبّذ أن لا يتمدد في الفراش بل أن يعتدل في جلسته وقرر أن يطفئ الكشّاف حتى يدّخر البطارية ،وبينما هو يحملق في الظلمة ومازال جلّ تركيزه العقلى نحو ذلك الركن وبين الفينة والأخرى يضيئ الكشّاف ليري هل من خطب موجود . واذا بلوحة على الجدار تسقط أرضا حيث أرعبه الموقف فتجمّد الدم في عروقه وتسارعت دقات قلبه فأضاء الكشّاف بسرعة ليجد اللوحة على الارض وقد كسرت قد يبدو الامر بديهى لكن في مثل هذا الوقت والموقف لا أظنّه أمرا طبيعيا حينها غرقت نفسه في بحر من الجزع

الشديد والخوف الرهيب وقرّر دون تراجع أن يخرج من غرفته نحو غرفة الجلوس ظنّا منه أنّ .

المكان أقلّ ضجّة. ونور المدفأة يكشف القليل من الغموض أخذ البطانية على كتفه والوسادة تحت ابطه و كان الكشّاف في يده يتبع نوره للهداية ثم أغلق باب الغرفة واتجّه صوب الصالون وضع أغراضه على الأريكة وهو يبسمل "باسم الله العظيم" ويتعوذ من الشيطان الرجيم. حقا انّها ليلة حافلة بمفاجآت الرعب. ونور الكشّاف لا ينفك ساطعا فيما يزال الكهرباء مقطوع

وبينما كان جالسا على الاريكة واضعا رأسه بين يديه اذ سمع طرقات متتالية على الباب وكأنّه شخص على عجل .

هذه المرّة قد يكون شعر بالرعب قليلا لكنّ الصوت بالخارج أيقن أنّه حقيقي أسرع يفتح الباب فاذا به أمام سيّدة

سيدة عجوز طاعنة بالسّن جذبته الى الخارج وهى تتمتم بكلمات غير مفهومة فأرهف السمع لها علّه يفهم ما تقول لكنّها كانت تسرع بالقول حينها قاطعها بصوت عال ..

ـ"ياخالة ما الذى أتى بك الى هنا في مثل هذا الهدء من الليل والعالم غارق في الظلمة؟"

أجابته قائلة ...

ـ"صه أيّها الغبّي أنت سبب مجيئي الى هنا لأعلمك أنّ حفيدي وعصابته الأقزام المشاكسون يريدون اخافتك بمقالب تجعل منك محل سخرية فى الصباح أمام سكان البلدة. فاذا ما لمحت شيئا أو سمعت صوتا مخيفا فذلك أنّهم مختبؤن في قبوك. وأرى أن لا يعلموا بمجيئ اليك تصبح على خير "

..ثم استدارت راجعة حيث لم يستطع السيّد "شاكر" شكرها فقد غابت في الظلام حينها عاد الى غرفته وهو يقول بأعلا صوته

ـ"أيتها الأرواح الصغيرة الشريرة عودى الى مكانك فأنا رجل مسلم وناضج ثم انّني لا أخاف وجود الجان و لا الشيطان ولاحتى الارواح والأشباح مادام الله معى وأقول" أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق"

ثم عاد يغطّ في نوم عميق هنيء البال بعد أن سمع صرير الباب يفتح وخطوات صغار تغادر المنزل

عودة الماضي

كثيرا ما نحتاج في هذه الحياة الى شخص يكون قريبا منا نشكو اليه همومنا ونشاركه افراحنا أحزاننا و نأتمنه على أنفسنا وأسرارنا حتى في غيابنا ذاك ما يسمى بالصديق الحقيقي والوجه الاخر اللامرئي للحب لاسيما ان ولدت الصداقة منذ الصغر كما هو حالى واصدقائي حيث نشأت بيننا علاقة مودّة مذ كنا في الصف الثانى بالتاكيد لا تخلو من التنافس والتناحرأحيانا فكان ذلك بمثابة رابط يقوي صداقتنا ويمتّن أواصرالمحبة فلا فروق اجتماعية بيننا فقط نحن اربعتنا نمثل دعامة الفصل والجنود المشاغبون في المدرسة مع اننا لم نكن يوما جيرانا ولا حتى اقرباء لقد ساقنا القدر الى بعضنا وشاء ان يجمعنا داخل "ساحة الوغى" على حد التعبير الجنوني "لآصف " من عائلة ثرية يعتبرالعقل المدبر لكل المكائد وترجمان الخطط والخدع حسب تكتيكه الاستراتيجي حيث يعتمد فيه على وسائل غير قانونية لغايات قانونية جديرة بالاهتمام وعنه يعتبر المدرسة عالم مختلط الاجناس البقاء فيه للاقوى هي في حقيقة الامر نظرية تقبل الدحض والتأييد بعكس نظرية "ناصف "صديقي الثاني ينحدر من عائلة ميسورة الحال الملقب بافلاطون المدرسة وفيلسوف زمانه وحكيم أوانه لا نكاد ،ناخذ منه لا حق ولا باطل عدا كونه كثير الكلام يدقق ويحقق في أتفه الامور لكن دون جدوي تظل أفكاره رهن اعتقال المستقبل لا علاقة لها بالواقع لذلك ان اردنا التسلية في الحصص المملة والرتيبة نجعل

افلاطون يبدي لنا رايه في حصص الدعم والتقوية حتى مرور الوقت ويقرع الجرس لكن طيبة قلب" منيب " المفرطة تجعله يكشف عن نوايانا الخبيثة وقد لقبناه بقلب الاسد فيتصّعد بيننا الكلام حتى الخصام لكن سرعان ما تعود المياه لمجاريها وتصفو بيننا الالفة لنتجنّب غضب منيب وتكدره منا فلا تشتكي بنا امّه (البرميل هكذا كنا نلقبها سامحنا الله) للمدير فيحتجزنا ليوم كامل ويستدعي أولياء أمورنا " آصف" و"ناصف" وانا "آثر"ناهيك عن كوننا سنجلد في البيت لانّ منيب كان أصغر منا بأشهر وضعيف البنية اضافة الى كونه مدلل أمّه وأبيه وهو يعاني من فتور في عضلة القلب مما يؤدي تعبه الى غيبوبة تلازمه حقيقة نحن كنا نأسف لوضعه لذلك صنفناه ضمن موقع اولى رئاسي يكون فيه مرتاحا فقط هو يوافق على قراراتنا ويصاحبنا اثناء عمليات العبث بمحصول البرتقال للعم "جابر" في ضيعته ليكون منيب هو الحارس يراقب الاوضاع عن بعد أو هو يمرر لنا ورقة الغش اثناء الامتحان ثم يسرع بالخروج كنّا نضع الفخاخ لنصطاد العصافير فيبقي منيب يترصد قدومها تحت ظل شجرة ونحن نركض خلف الفراشات نضايقها يا الله لقد كانت أياما ممتعة بسذاجتها وبراءتنا وما أسرع مامرّ من وقت أملنا دراستنا الثانوية والجامعية وتخرج كل منّا وأسسنا أسرا واولاد ومع ذلك لم نفترق خاصة وانّ وسائل التواصل الاجتماعي منحتنا فرصة اكثر في تمتين علاقتنا كان في نيتنا ان نجعل من أولادنا يتعارفون فيما بينهم ليواصلوا مشوارما بداناه من الفة ومحبة وبرغم بعض الانشغلات وبعد المسافات بيننا لكن ما من شئ يفرقنا

عدا الموت ...حتى اننى اؤمن بوجود تواصل روحي بعد الموت بل انقى وأبقى.

اليوم تلقيت اتصال هاتفي من ،ناصف يحمل خبرا محزنا تاثرت لسماعه واعتصر قلبي ألما لذلك عادت بي الافكار الى مامضى من زمن اصدقائي ورفقاء دربي بعد مرورست سنوات لم اراهم فيها قد ألهاتنا الحياة بمغرياتها ومتاعبها أخبرنى ناصف أنّ" منيب" قد توفي اثر نوبة قلبية ووجب الحضور الى جنازته بالرغم أنه يقطن في مدينة "سيباص"البعيدة عنّا بما يقارب اربع ساعات على متن السيارة لذلك قررنا ثلاثتنا أن نجتمع غدا صباحا في مقهي "كافي كاتر" لنستقل سيارة آصف ونتجه الى مدينة "سيباص" حيث سنودع جزءا منآ.

سرعان ما أقبل الصباح على غيرعادته بشمس غائمة بلا اشعه ولا دفء وسماء تناثرت في ارجائها سحب داكنة سرت في اواصري رعشة برد وغيمة حزن قد تمطر العين دمعا لكنّي اكابد أوجاع الروح بالصبر وقوة الايمان نزلت الى مقهي "كافى كاتر" المقابل لبناية منزلنى بعد ان اخبرت عائلتى انني لن انظم للغداء معهم اليوم لسفري المفاجئ لامر وفاة صديقي لم يطل الانتظار كثيرا حتى هدأ محرك سيارة رمادية اللون فخمة امام المقهى ونزل منها رجلا اسمر طويل القامة راقي الطلة برجوازيآ ببدلة سوداء أنيقة يحمل بين اصابعه سيجارة كوبية يضع نظّارة شمسية ملامحه ليست بغريبة عنىّ وفيما كنت احدق به من بعيد أقبل وقطع صمت التساؤل بداخلى قائلا :

ـ " يا الله كنت أعلم انّك لن تتغير مذ عهدتك بملامح وجهك ونحافتك حتى انها نفس جلستك الساق فوق الساق وبفنجان قهوتك هل شربت من اكسير الحياة يارجل؟ " وقهقه كعادته :

استقمت واقفا له وقد رددت .

"ناصف.. أيّها الولد المشاغب كيف حالك وماذا فعلت بك الايام أمّا أنا فأرى أنّك تغيرت تماما فأثرالنعم باد عليك " ما شاء الله .

تعانقنا كما لم نتعانق من قبل ثم تذكرنا معا نفس حركات هزت اليد اليمنى مثلما كنا صغارنتقنها فعلا لا شئ قد ينسى اذا كان محفورا بالذاكرة عزمته على فنجان شاي كما يرغب حتى ياتى آصف وفيما كنا نتحاور ونتشارك الذكرى حتى ولج "آصف "الى المقهي وهو يقول

ـ "أظنكم تفتقدونى يا جماعة مثلما افتقدكم في كل حين "

ـ ناصف"ايها الفيلسوف الحكيم كيف حالك اشتقنا لك "

رددت مباشرة .

ـ" وأكثر من اي شئ آخر فوالله أحسّ أنّي عدت بالزمن عشرين سنة وكأننّا لم نفترق رحمك الله يا منيب لقد جمعتنا حتى في فراقك "

توحي هيئة آصف انّه اصبح رجلا متدينا رصينا قد يكون تغير في بنيته الجسدية فازداد بدانة وصارصاحب لحية سوداء واسع البطن قصير القامة

لكنه لم يتغير في اسلوبه وطرق تعامله وخطابه التوعوي الحكيم عزمنا لحينها على اكمال الحديث في السيارة ونحن متجهون الى "سيباص" المدينة التى حرمتنا "منيب" وما كناّ يوما لنعرفها لولاه جلس ناصف خلف عجلة القيادة فيما تصدرت انا الكرسي الامامي بجانبه وفسحت المجال الى آصف بالمقعد الخلفي لطالما عهدته يخشى الصدارات حين كنا بحافلة المدرسة سارت بنا السيارة لاكثر من ساعتين ونحن نتبادل الذكريا ت ونتباهي باخر انجازاتنا اخبرنا ناصف انه صار من اكبر رجال الاعمال في البلدة وصاحب شركة لترويج الاحذية وهو متزوج واب لطفلين اما آصف فقد اكمل تعليمه وصار استاذ جامعي لمادة الفلسفة وقد اعتمر وحج مع والدته الكفيفة التى ما تزال تعيش معه فهو يرفض الزواج لاجل الاعتناء بها امّا عنّى فقد أخبرتهم انّي صرت محامى وقد تزوجت من "راسيل" الفتاة التى كانت بصفنا شاءت الاقدار وصارت اما لبناتي الثلاث تشتغل ممرضة وفيما نحن نأسف على الماضي آملين أن يعود ونذكر مناقب صديقنا منيب وكيف واجه مرضه وتحدى متاعبه وامكن له ان يكمل دراسته ويتخرج ثم يتزوج وينجب ابناء كان صدقا مثالا للأخ الجيّد والصديق الطيب وفيما نحن كذلك اذ اعترضت طريقنا عاصفة رعدية تحجب عنا الطريق بغيومها الداكنة وبدأ رذاذ المطر يتساقط زخات معلنا عن كارثة طبيعية حتى انّ ناصف طفق يقود بسرعة محاولا التسابق مع العاصفة علّنا نصل مشارف المدينة قبل ان تشّتد فالطريق امامنا خال من السيارات تماما ومع ان الطقس ينبئ منذ الصباح بهطول المطر

الّا انّنا لم نكن لنصدق بهبوب عاصفة شديدة في مثل هذا الوقت من الصيف كان ناصف يتأمل الطريق باهتمام زائد ونظر ثاقب فيما كنت بجانبه ادعو الله السلامة لنا حتى وصولنا وفجأة صاح آصف .

ـ " يا جماعة هل رايتم ذلك ؟ "

ـ ناصف"ما بك يارجل لم تصرخ؟ ماذا رايت؟ "

ـ أنا " نعم أظنني شاهدت شيئا يشبه البناية لكن كلن ذلك كومضة برق "

ـآصف" لقد صدقت يا آثر فعلا هي بناية .

ـ ناصف"حقيقة لم الحظ ذلك ربما لكوني اقود بسرعة"

ـ أنا "حسنا خفف من سرعتك وعد بنا للخلف"

ـ ناصف " وما سبب عودتى بعد كل هذه المسافة "

ـ آصف" أيها المشاكس نريد أن نرتاح قليلا حتى تمر العاصفة "

ـ ناصف "حسنا لكما ذلك مع اني أخشي أن يكون مجرد سراب وغمائم من العاصفة "

خفف ناصف من سرعة السيارة وطفق يرجع بنا الى الخلف حتى لاحظنا بالفعل بناية ذات طابقين بيضاء اللون كلاسكية المعمار لم تكن مساحتها جد كبيرة لذلك مررنا بها كخطف البرق هدأ محرك السيارة أمامها في بادئ الامراندهشنا للمنظر حيث نظرنا من خلال زجاج نوافذ السيارة فلا وجود

لاي سيارات اخرى سرعان ما أمرنا ناصف بالنزول لنستكشف الامرعلّنا نجد ملاذا آمنا. كنت اول من ينزل ليتقلد مهمة الاستكشاف وكأنّني بطل الرواية فتحت الباب ونزلت بعد ان رفعت جاكيتى فوق راسي احتمى بها من المطر والرياح تعاندنى في اقتلاعها مني غصبا اسرعت الخطى نحو الباب الرئيسي الكبير وبجانبه نوافذ بلورية تشع من خلالها الاضواء حينها سمعت طقطقت الكؤوس ورنين الملاعق وقعقعة الاطباق كأنّها صليل سيوف عند الوغى مع وجود موسيقي كلاسيكية هادئة تفرح القلب تقدمت خطوتين صوب النافذة واطلت النظر فوجدت اناس خلف الطاولات حانت مني التفاتة للرجلين وصحت باعلا صوتي علّهم يسمعوني .

ـ "هيّا ترجلا من السيارة انّه مطعم وهذا ما نحن بحاجة اليه "

لحسن الحظ سمعا ندائي فنزلا ثم دلفنا جميعنا للمطعم نبتغي الملاذ من العاصفة واسكات شبح الجوع المفاجئ في بطوننا كان المطعم راقى بطرازه المعمارى القديم لكنه يبعث الراحة في النفوس بطاولاته المستديرة وكراسية الخشبية القصيرة كذلك كانت الارضية من خشب والستائر قصيرة من الدانتال الاحمرأمّا الموسيقى فتنبعث من راديو قديم الصنع لكنه بات اليوم الموضة المحببة لجيلنا لاتوجد شاشة مسطحة ولا كمبيوتر .

كان المطعم يضمّ نساء ورجالا من فئات متعددة الاعمار أكثرما شدنى اليهم لباسهم حتخ خلتني في حفلة تنكرية وهذا ما أجمعنا القول عليه أنا وصحبي كانت فكرة جيّدة يبتعدون بها عن ملهيات الحضارة ويفارقون صخب المدينة

بأجوائها التكنولوجية الخانقة اخترنا طاولة قرب النافذة حتى نتمكن من رؤية المنظرالخارجي اذا ما هدأت العاصفة. اقبلت النادلة المسؤولة عن طلباتنا بزيّها الكلاسيكي بكل ثبات وأدب كان من المفترض ان نطلب اكلا كلاسيكيا لكن رغبنا في اكل البيتزا و لم ندرك اننا نطلب المستحيل حتى راينا علامات التعجب مرسومة على وجه النادلة وهي تردد بأسف .

ـ " أسفة سادتى لايوجد طلبكم في مثل هذا الوقت الا في ايطاليا "

قال آصف :

ـ" لا بأس آنستى أحضري لنا ثلاثة اطباق من اللحم وطبقين من سلطة الغلال مع فنجان قهوة فرنسي "

لا نعلم كم من الوقت قد مر ونحن نتلذذ بالاكل والحكايا آملين ان تنقشع العاصفة بين لحظة وأخرى حتى خاطبنا آصف "

ـ "بالله عليكم كم الساعة عندكم فجوالي اظنّه تعطل ثانية كعادته

اخرجت اكلانا وآصف جواله ونظرنا بالساعة لكن

"يا لغرابة الامر لا شئ يعمل" رددنا معا في نفس اللحظة

انا وناصف :

ـ وكذلك جوالي لا يعمل ولا استطيع تشغيله "

ضحك آصف وهمس قائلا :

ـ" انظروا من حولكم أظن أنّ الجماعة هنا لا يحبذون وجود الهواتف المحمولة فهم يرمقوننا بنظرات تعجب واستغراب

ـ ناصف" انّه اليوم العالمي للحياة الكلاسكية "

اجابه صوت رجالي من الطاولة المجاورة

ـ "بل اليوم العالمى للصداقة "

ـ ناصف " صدقت يا رجل كدنا ننسي موعدنا لتوديع صديقنا

ـ الرجل المجهول "السيد منيب لم ينس قط لحظاته معكم "

آصف يتساءل بحيرة

ـ "كيف عرفت بامر منيب هل انت صديقه أيضا "؟

ـالرجل المجهول " كنت واصدقائي دائما نتقابل هنا في هذا المطعم نسترجع ذكرياتنا القديمة ذات يوم جئت في نفس الموعد كالعادة صحبة البقية ما عدا واحدا فقط غاب عن الموعد ظللنا ننتظره حتى اليوم الثالث لكنه لم يأت"

قاطعته قائلا :

ـ"ولم قد نستحق الى الجوال ؟ اذا لم نطمئن من خلاله على احبابنا وقت الحاجة "

رمقني الرجل المجهول بنظرة حادة وقال

ـ"صديقنا وقتها قد رحل "

ناصف وهو يضحك :

ـ "جيّد قد يكون اختياره صائبا لعله لم يكن صديقا مخلصا يطيقكم "

ـ الرجل المجهول" لكنّنا قررنا الذهاب اليه مباشرة فحياتنا بعيدا عنه لا نكهة لها "

ثم استدار صوب الرجال المحلقين معه حول الطاولة واكمل الحديث معهم في متعة لا توصف :

كنت انظر اليه وقد شردت بافكاري الى عالم يتجسد فيه معنى الوفاء والاخلاص حتى سمعت ناصف يخبرنا بان العاصفة قد هدأت وانّه قد حان وقت استئناف الطريق قمنا من الطاولة بعد ان ترك آصف حساب الاكل "مائة دينار"

بالخارج عاد كل شئ الى مساره الطبيعي والهدوء المعتاد فاستانفنا طريقنا صوب مدينة "سيباص" والتى باتت لا تبعد عنّا كثيرا وصلنا الى منزل "منيب " بعد ان دلنا اليه شاب يقطن بجواره قدمنا التعازي لاهله و آل بيته لفقد صديقنا العزيز مكثنا بقية النهار بصحبة اقربائه وزملاء عمله حتى ثلث الليل الاول قررنا العودة الى مدينتنا لاستئناف اعمالنا والاطمئنان على عائلاتنا فلا

مجال للتاخيرأكثرمن ذلك لكن السيد" شادى" عمّ منيب أصّرعلى بقائنا حتى اليوم الموالى خوفا من اخطار الطريق ومهالكه اذا عدنا ليلا لم يكن من داع لخوفه فقد اعلمناه اننا نستطيع ان نستريح قليلا في نفس المطعم الذى مررنا بنا صباحا لكنه اندهش لسماع خبر المطعم وقال

ـ "مطعم كلاسيكي أليس كذلك"

أجبته :

ـ" بلى هو كذلك حتى انذ الخدمات به راقية جدا وأناسه طيبون

ـ شادي " احمد الله على سلامتكم يا رجال "

ـ ناصف" وما الغريب في ذلك يا عم شادى ؟ عدا كوننا نحمد الله طبعا على سلامتنا من العاصفة الرعدية "

ـ شادى " انه مطعم قديم و نذير شؤم لا وجود له بالاساس لقد احترق بمن فيه منذ الخمسينات "

ـ أنا "ماذا ؟.. هل يعقل أن يكون ما عشناه سراب ومجرد احلام؟"

ـ آصف" لا مطلقا انّه حقيقي وكل من فيه حقيقيون حتى انّى تركت الحساب على الطاولة وكان ما يقارب مائة دينار"

ـ شادي " حسنا ضع يدك داخل جيبك وتفقد نقودك في محفظتك ستجدها تماما كاملة لا ينقصها فلسا واحدا"

اخرج آصف محفظته وعدّ نقوده لتكون الكارثة اكبر مما نتصور فكلام العم شادى صحيح ولا فلسا واحدا ينقصه :

ردد ناصف :

ـ "تبا حتى أنّ الهواتف كانت لا تعمل حينها لكنّا صورنا لك المكان برمته "

شادى" لا داعي يا ولدى للقلق يجب ان تصدقوني فما من اصدقاء يمرون من هناك حتى يلقون حتفهم فحكاية المطعم اذ كان هناك اربعة اصدقاء يتقابلون هناك مرة كل سنة وذات مرة خالف احدهم الموعد ظل ثلاثتهم ينتظرونة ثلاثة ايام حتى علموا بمقتله لذلك تعاهدوا ان يموتوا كلهم فلا الموت يفرقهم وبالفعل اكملوا السهر ثم قاموا بحرق المطعم بمن فيه من نادلات وطباخ وصاحب المطعم والاناس العابرين ظلت ارواحهم تائهة لا تعبر الى النور باحثين عن صديقهم عساهم يجدوه في احد المسافرين مثلكم فيعود الماضى بألامه وانتقامه ليحققوا وحدة الصداقة "

ـ ناصف " تماما مثلما أخبرنا المجهول بالمطعم "

ـ آصف" يجب أن نسميها منطقة الخطر فلا عاصفة ولا مطعم ولا اناس سوى المجهول "

ـأ نا " اذا لنبيت الليلة هنا ونكمل حديثنا مع العم شادى ولنا غدا عودة الى ذلك المطعم ربما تستجد احداثا أخرى "

استدار العم شادي متجها الى داخل البيت ليجهز اهله لنا مكانا نبيت فيه لكن استوقفه ناصف بمكره قائلا

" أخشى أن تكون يا عم "شادى" انّك من بين تلك الاشباح العائدة من الما ضى .

ردد العم "شادي" وهو يكمل طريقه الى الداخل :

ـ "كان الاجدر بك أن تتمنى ظهور شبح صديقك "منيب " بدلا عنى " ..

للحب وجه عابس

. فيما تزال "رانسي" على التخت تتململ باللحاف الحريري أقبل "ثائر" نحوها بخطوات بطيئة يمشي الهوينا كأنه آس يجس عليل وانحنى بلطف وقبّل جبينها وقال لها بهمس

." صباحك عنبر عزيزتي أظنّني سأتغيب بضعة ايام هل تريدين شيئا اقتنيه لك؟"

فتحت رانسي جفنيها المتثاقلان بالنوم وسألته بصوت أنثوي حنون

-" ترى الى أين الوجهة هذه المرّة؟

- "الى مدينة أزمير بتركيا ألم أخبرك بذلك منذ يومين"؟

-" ربمّا أظّنني نسيت" ..ازاحت عنها الغطاء وجلست باعتدال ثم أردفت

-"لكن ألم تلحظ أنّنا منذ زواجنا لم نعد نخرج معا فكل وقتك مخصص للعمل"؟

سرعان ما ابتعد ثائر عنها وطفق يعدّل هندامه ويسرح شعره قرب المرآة وكأنّه على عجلة من أمره لكنه أجابها

-" يا حبيبتي لقد صرنا مسؤلان عن بيت وعن مستقبل اطفالنا فلا وقت لدينا فنحن ناضجين كفاية فلا مجال لنا لمثل هذه الترهات وعبث المراهقين"

ـ "أطفالنا؟ وأين هم اللأطفال ،هل تظّن ذلك حقا وتعنى ما تقول؟"

ـ" بالتاكيد يا غاليتي أقصد اطفالنا مستقبلا كوني منطقية بالله عليك وجهزي لي حقيبة سفري وكل مستلزماتي"

." لا عليك يا زوجي أظن انّ حقيبتك جاهزة استنادا لانّك أخبرتني قبل يومين بسفرك فلا أظنني أنسى مثل هذا الشرف العظيم في تجهيز حقيبتك"

ردد بتجاهل

ـ" أوف أعرف أنّك منزعجة لكنّه عملى "

ـ" أريدك دائما بجانبي هب لي من وقتك أقلّه"

خاطبته وهي ترتدي الروب وعيناها تحدقان في حركات ثائر الذي سرعان ما أجابها على مضض

ـ "حسنا حبيبتي حين عودتي سآخذ عطلة عمل ونظل معا احقق لك كل طموحاتك"

ـ "ثائر انا لا ينقصني الاك"

ـ "طيب ...رجاء ناوليني الجاكيت لقد تأخّرت الكل بانتظاري لديّ اجتماع هام قبل السفر"

ـ وكعادته نزل مسرعا الي البهو بعد أن ناولته رانسي الجاكيت

كان يرتديها بيساره ويعدل ربطة عنقه بيمينه فيما ظلت محدقة به فهي لا تستطيع التغاضي عن فتنته المميزة العينان الداكنتان برموش طويلة وكثيفة بداخلهما طاقة وحماس الشعر الذقن المستدير بأنف مستقيم البنية الرياضية كذلك بذلته الثمينة وقميصه الحريرى وحتي ربطة عنقه تزيده وسامة وجاذبية حذاءه اللمّاع وكل شئ في سلوكه لطالما أثار بداخلها ذاك الشعور المتفجر بالاضطراب فينبض القلب خفاقا له وبه لو كان الأمر بيدها لظّل طول العمر بجنبها تحجبه عن كل عيون النساء وبينما كان ينزل السلالم

حدق في زوجته وقال

ـ "رانسي يجب أن تدركي تماما أنك سيدة النساء بقلبي"

أقبل سائق السيارة يتجه نحوه ليأخذ حقيبة العمل

خاطبته بلطف تام

ـ" ألن. تتناول فطورك معي كالعادة"

ـ أردف قائلا "...كلّا حبيبتي سآخذ قهوة في العمل"

ككل يوم تجلس لتناول الفطور بمفردها لا أحد يلهيها ولا ضحكات طفل تطربها

فقط بين نسمات الربيع الدافئة وغناء الطيور

تترشف قهوتها ورائحة الزهور تعبق المكان

هذا المكان الفسيح بحديقة غناء شاسعة تتوسطها الفيلا

بطوابق غربيــة المعمار كقصر أبيض مهجور بعيدة

هي كل البعد عن المناطق السكنية ميزتها الهدوء والتأمّل تماما كروح السيدة رانسي فلا اصدقاء لها لا أقارب ولا حتى جيران هكذا جعلها السيّد ثائرتعيش في نؤي عن الجميع

فبعد زواجهما اختار لها هذا المكان الرومانسي والمطل على تلال وسهول واسعة ورحبة تبهج الناظر بلونها الاخضر الفستقي والاخضر القاتم خلف أفق بعيد يلوح السماء بلون الزرقة ينعكس فوق سطع يشع كبريق الذهب انه لون الشمس تتراقص فوق سطح البحر وطيور النورس تعزف له اعذب الالحان وأطربها بعيدا هو البحر كل البعد عن موقع الفيلا التى اختارها ثائر لزوجته والتى تبدى ذوقا رفيعا ومميز للسيد ثائر وثراء عائلته ورقيّ مكانته الاجتماعية لذلك طلب منها ان تستقيل من وظيفتها كمربية أجيال لطالما كان هذا حلمها أن تقف أمام الطلاب فترسم في وجوههم الفرحة وتنير عقولهم بغذاء الروح والفكر، لكنها اليوم ليست بحاجة للمال ولا لضوضاء الصفوف وصفير الجرس هكذا كان تفكير زوجها على الأقل هذا ما يظهره ربما ما خفيّ كان أعظم كانت حجته في ذلك أن كل المستلزمات المادية رهن اشارتها وطلبها

لكن كل ما ينقصها هو ثائرفرغم القرب الا أن هنالك قصة شوق لا تحتملها السطوروحكاية حنين موجع

يجتاز حدود الكلمات والحروف

غيّرت رانسي مسارها وعادت الى البيت لتجد السفرة جاهزة فيها كل مالذّ وطاب لكن الحياة لا تطيب بالاكل فقط ازاحت الكرسي وجلست في توءدة وبحركات

منتظمة ومدروسة طفقت تاكل مما يليها

ببطء كل نظراتها الساحرة يملاؤها حزن عميق وجلّ

تفكيرها يدورحول ثائر ماتراه يفعل؟

مع من قد يذهب للسفر؟ ..هذاالعمل الذي جمع فيه

كل الحسناوات والمتبرجات ذاك ما يسميه بالاناقة والثراء ومصدرالرزق فمجال عمله يقتضي فيه نسوة جميلات

فصاحب فندق مميز ذو خمس نجوم يستقطب الاجانب

لا بد من وجود وجوه مشرقة تبهج الخاطر وتشّد الناظر من عاملات استقبال ومرشدات الى عاملات تنظيف وطبخ الي غير ذلك في المصاعد واجنحة للعب

عملا بالمقولة،،وراء كل رجل عظيم امراة لكن الظاهر

انّ وراء السيد ثائرألف امرأة سرعان ما أخذتها الهواجس والمخاوف حتى ألفت "ام السعد" تناديها .

ـ "يا بنيّتي لم لا تاكلين ؟طول الوقت و انت شاردة الذهن أقلقتني وأثرتي فضولي ترى ما بك؟ ألم يعجبك الفطور؟ ام هنالك شئ ناقص على السفرة ؟"

ـ رانسى "انا فقط أفكر لا تنزعجي لحالي"

ـ أم السعد "أريدك أن تصدقني القول ..هل السيد ثائر سبب انشغالك؟"

ـ رانسى " اه .نعم يا" دادا". بت اشك في كل تصرفاته من وكثرة غياباته وأسفاره"

ـ أم السعد " لا يا صغيرتي السيد" ثائر" رجل متعقل ورصين كثير التنقل دائم الحركة..ذاك طبع عمله"

ـ رانسى" وأين أنا ضمن هذا كله؟

تراجعت بالكرسي قليلا ثم ابتعدت عن الطاولة متجهة صوب الصالون في البهو

أجابتها ام السعد بقول يبعث في النفس راحة

ـ "السيد" ثائر" يحبك يا صغيرتي لذلك ميزك عن الكل

وجعلك اميرة لقلعته وملكة لقلبه

ـ رانسى" كيف لي أن أكون أميرته؟ بل أنا سجينته وسجينة قلعته ثم ماذا يفعل الحب وسط هذ الكم الهائل من الشك والظنون؟

ماذا افعل بحبه وانا لا اراه الاّ اذا تكرم وعاد متأخّرا؟"

ـ أم السعد" يا حبيبتي احسني الظّن في زوجك"

ـ رانسى" اريده بجانبي حتى انّى لا أذكر يوما خاطبنى بمجاملة لن أقول غزلااو دعانى الى سهرة رومانسية"

ـ أم السعد" انت لا حتاجين الى الغزل والتغني هل

وهل يحتاج الذهب الى التلميع يوميا؟

ـ رانسى" بداخلي شئ خفيّ صوت ما يقودني الى حقيقة

انّي بتّ مهملة مثل كتاب قديم على الرف"

ـأم السعد" حسنا لما لا تهاتفيه وتبادرى ياللطف منه ؟

ـ رانسى "فكرة جيّدة سأطلبه لأطمئن على سلامته

أخذت الهاتف المحمول ثم طفقت تطلبه

لكن لعدة مرات لم يجب

ـرانسى" انّه مشغول هل يعقل ان يكون مشغول

في مثل هذا الوقت؟ وان كان كذلك لم لا يضع هاتفه صامتا

ـ" يا حبيبتي عندما تقلع الطائرة يمنع استخدام الهواتف والاجهزة الالكترونية أليس كذلك؟

ـ" بلى يا" دادا" كلامك صحيح ومنطقي مع ان وقت الطائرة لم يحن بعد سأعاود الاتصال به ليلا حينها يكون في أزمير

ـ أم السعد"حتي ذاك الحين فكري في عمل تشغلين به وقت فراغك كأّن تذهبي للتسوق او تزورين بعض صديقاتك او ربما تجلسين خلف الحاسوب ولك حسن الرأي"

ـ "بل على الارجح سأذهب للتنزه في التلال المجاورة اريد ان التقط بعض المناظر الطبيعية"

ـ" جيّد يا ابنتي سأجعل السيد "عليّ" يرافقك بالسيارة

ـ ليس هناك من داع لن أبتعدعن الفيلا وسأعود سريعا"

ـ "حسنا لك ما تريدين يا صغيرتي"

صعدت رانسي الي الطابق العلوي لتغير ثيابها وتجهز حالها لهذه الرحلة القصيرة مؤمنة في ذلك انّ الطبيعة وحدها كفيلة باضفاء لمسات الأبتسام والراحة النفسية على روحها المتعبة فالحياة لا تستحق ان نعيشها في عبوس دائم فلا مجال للحزن ونحن نعيش كل يوم جديد بروح الايمان بالقضاء والقدر وبنورالأمل يضيء دروب الحياة ومسالك الحب حتى لو كان بصيصا مشعا من تحت باب ظلمة الأحزان والوحدة انقضت عشر دقائق من الوقت حيث كانت رانسى جاهزة تماما بثياب الرحلة

أطلّت من علّو السلالم تنزل بخطي متثاقلة كأنها الحان الخلود بعطرها توقظ أجفان النيام فوجهها الصبوح الضاحك والعيون الحالمة تستفيق بها القري المكتئبة لطالما ترنمت أجراس الكنائس في حليها تعلن بدء صلاة في هيكل الحب ليوم جديد الشعرخصلات ذهبية رطبة منسدلة على الاكتاف والعيون مخملية لامعة وفم مرسوم كلوحات زيتية بروائح النرجس والياسمين تملأ النفس حنين تسلب الارواح بجسم ممشوق معتدل وعود فرنسي التكوين

ارتأت رانسي أن ترتدي فستانا أحمر طويل من الحرير عاري الكتفين وحذاء رياضي أبيض كانت تحمل بين يديها هاتفها رددت تخاطب النفس وتطمئنها

"سأترك تفكيري الطفولي والعميق بك يا ثائر ربما هي الايام وحدها كفيلة بتغير سلوكك تجاهي نحو الأفضل"

وبخطوات ثابتة نزلت السلالم فأسرعت اليها "أم السعد" تحمل قارورة ماء وتنصحها بعدم الذهاب لوحدها لكن رانسي مازالت عازمة على المغادرة للحقول بمفردها لعلّها تجد الراحة هناك فالجّو يبعث على التنزه بشمسه الدافئة كما اخبرتها بأنّها لن تتأخر و انّها تحمل هاتفها الجوال اذا طرأ أمرا ولالتقاط الصور والمناظر الطبيعية التي لا تتكرر يوميا.

تخطّت عتبات الفيلا بسورها الواسع وبوابتها الكبيرة وكأنها أسوار سجن كانت منفية فيه . لطالما منعها السيد "ثائر" من الخروج الا برفقته ومعه كلاب للحرسة

وشيئا فشيئا ابتعدت عن السجن وتحررت

هاهي الآن تجوب المروج بتوءدة تنظر للسماءحيث

حانت منها التفاتة الى الشمس الساطعة المشرقة التى تلوّن الفضاء بألوان فضيّة وذهبيّة متراقصة كحبات لؤلؤ منثورعلى جوانب نهر مهجور ارسلت اشعتها الدافئة تداعب وجه رانسي بكل رفق و حنان وتتغزل بقوامها الممشوق ونسمات من حرير تراقص فستانها الاحمر نسيت رانسى همّها وامتعاضها للحظات و شعرت بسكينة وانفراج وبدت تحلّق كريشة تحملها النسمات وما انفكت تلتقط صورا لجميع المناظر سهولا خضراء ومروجا تسّر الناظر بالوان الزهور فيها وبين تموجات الارض ورواسيها الخلابة بدأ الوقت لأول مرة يمرّ دون عجلة ودونما عبث فالثواني باتت مساحات حالمة في عالم البهجة لا يشوبها القلق والدقائق رحلة عمر لا يثنيها الأرق

لا أحد يقلق راحتها هي فقط والفضاء الرحب المعطاء حرة طليقة كطيف نسيم تغرد مع الأطيار وتشدو بما شاء وحي الألاه وبرغم ثقل ممشاها وبطئ حركاتها وجدت نفسها فوق أبهى منظر لا يتكررکل يوم منظر مرتفع من السهل هوفي حقيقة الأمر جرف عميق يطّل على البحر مباشرة لكم راقها هذا

المشهد حيث يعانق البحر السماء بحمرة الخجل فتتراقص على سطحه الأشعة تعزف له طيور النورس أعذب الألحان فتغرد هذه الأخيرة بصوت رومانسي ترقّ له النفوس وتطيب به الحياة كانت الامواج الهادئة تداعب قوارب الصيد المتناثرة في رحابة أرجائه والتى بأشرعتها الممتدة عاليا تبحث عن قوتها حينها أغمضت رانسي عينيها الجميلتين وقالت بصوت مسموع ولأول مرة

"- لماذا يا ثائر تقتل فيّ الاحساس بالجمال؟ والحياة بهذه الروعة؟. لماذا تكبلني بقيد من ذهب والدنيا لا تستحق أن نكرهها ونضّيع لحظات من العمر في الجفاء والعتاب؟أنت تقتل فيّ الحياة وأنا أنزف حبا لك" يا الاهي ما أجمل الحياة حين نراها بقلب شاعر ملؤه رقّة ونور وما اقساها حين نراها بالمخاوف والشرور" ثم أطلقت العنان وشردت بمخيلتها نحو المجهول واستسلمت الى حلم اليقظة الرائع حيث تنعم بوقت رومانسي يجمعها بزوجها ويخلق بينهما جسرا متواصل من الوّد والحب وفي غمرة الحلم الجميل تذكرت رانسى أن تلتقط صورة تضيفها الى ألبوم صورها عن الطبيعة ترسلهم الى زوجها أخذت الهاتف وطفقت تصوّر ودون وعي منها انزلقت قدمها اليسري عن الجرف وفقدت توازنها فصرخت وحاولت ان تتمسك بشئ من حولها قد ينقذها ويحول دون سقوطها فيما كانت تشاهد هاتفها يهوي في القاع مما زاد خوفها وارتباكها فانهمرت دموعها على الخدين تستعطف الاله تذللا وتطلب النجدة عسى القدر يمنحها لحظة عيش اخرى

حينها تمسكت بجذع شجرة أصلها ثابت في قاع الأرض بينما فروعها صغيرة كانت تجاهد النفس للبقاء وتتحامل على جسدها لتتمسك اكثر وفجأة تناهى الى سمعها صوت يخاطبها تمسكي جيّدا ولا تخشي شيئا فأنا قادم نحوك تورمت يداها وأحست بثقل في جسدها وفتور في العضلات ثم بدأت بالانزلاق ببطء فأغمضت عيناها واستسلمت لقدرها لعلّها كانت تهذي فلا يمكن لأحد التواجد في هذا المكان وفي مثل هذا الوقت لكن قبضة قوية أمسكت بها من معصمها ثم بقبضة أخرى شمالية سحبتها الى الأعلا

كانت صدمة الانزلاق أقوى تأثيرا على نفسية رانسى حيث لم تلحظ أنّها جرحت في ساقها فما عادت تشعر بها والنزيف الذي أصابها مما جعلها لا تكاد تصدق أنّ هناك من يسحبها غير أنها تعرفت على ملامحه فقالت له

ـ "أبي لقد عدت من أجلي كم اشتقت اليك أريد أن أرتاح في حضنك وأعود طفلتك المدللة:

ـ" خاطبها لا رانسي ابقي مستيقظة انا هنا معك لن اتركك مرة أخرى سامحيني"

ـ "انا حتما مستيقظة وأنظر اليك لن أدعك ترحل مجددا"

ـ "رانسي رجاء افتحي عيناكي تأمليني جيّدا أنا زوجك" وسرعان ما حملها الى السيارة ادار المحرك بسرعة واتجه نحو اقرب مشفي حيث تلقت العناية

اللازمة والاسعافات لم يكن السيد ثائر ليغادر المستشفي طوال الليل حتى تصحو رانسى من غيبوبتها ظل بجانب سريرها

وفي صبيحة اليوم الثاني عند الفجر فتحت رانسى عيناها لتجد نفسها وسط غرفة طبية وبالجانب منها السيد ثائر ممدد على الاريكة يترقب لحظة استيقاظها ردد:

ـ "وأخيرا عادت زوجتي للحياة"

نظرت اليه بدهشة وقالت

ـ" ثائر ما الذي عاد بك من السفر ؟"

ـ" حدسي يا رانسى وقلقي عليك أخبراني أنّك في خطر عدت الي البيت لأصطحبك معي الى تركيا لكن ام السعد أعلمتني بخروجك في جولة لوحدك حينها عرفت انّك حتما ستنجرفين بعواطفك واحساسك المرهف نحو جمال الطبيعة وسحرها المغري وانّك لا تعلمين بوجود الجرف هناك والذي طالما سقط منه العديد فاسرعت اليك بالسيارة

ـ رانسى "اذا كان ذاك صوتك انت ما كنت أهذي؟"

ـ ثائر"بلى لقد سمعتك وأخبرتك بأن تتمسكي حتى أقترب منك وظننتني والدك (رحمه الله)"

ـ رانسى "خلتك تخليت عنّي وظنّنت انيّ هالكة في مكان مقفر"

ـ "عزيزتي قد تجبرنا الحياة أحيانا أن نبتعد عن أحبابنا أوتكرهنا على أسلوب عيش نمقته لكن بالنهاية صدق المشاعر ينتصر و يظّل تخاطب الارواح أقوّى خيطا يوصلنا ببعضنا البعض تماما كما هو الحال معنا"

مجـــــاهد

(القاتل يجلس أمام المحقق مكبلا ويروى جرمه)

ـ القاتل.. "كنت أسحبه بقوّة من شعره الذى قدّ على هيئة ذيل قصير كان أشبه بأضحية تجرّ الى المقصلة ثم أجلسته على "كرسي مكتب متحرك "وقد ربطت كلتا يديه الى الخلف بعد أن أحكمت وثاق جسده الى الكرسي بحبل متين طفق يقول :

ـ الضحية.."أرجوك لا تقتلني إنّ لي إبنا لم أره بعد وزوجة صالحة تنتظر عودتي ".

ـ القاتل .." تبا لك اخرس ايها الاحمق "

ـ الضحية."أتوسل اليك لا تحرمني حضن أمي...ماذا ستجني بقتلك لي ..أنا مجرد شخص لا أعرفك "

(وفي غمرة الحديث يقف المحقق من خلف مكتبه ويردد بصوت مدوي)

ـ "إنّك قاتل وحش بلا ضمير ولا إنسانية أجوف بلا إحساس

ـ القاتل :

لوأنّك فقط شاهدت عيناه وهما تذرفان الدموع وهو يتضرع خوفا بعد أن لكمته على أنفه حيث إختلطت حمرة وجهه بلون الدماء المغرية وبدموعه وم

خاطه ممّا زادني رغبة اكثر في تعذيبه وتلذذا فصرت أسمع توسلاته طربا و أناشيد وطنية .

حماسية "

سرعان ما يتجه المحقّق صوب القاتل ويلكمه وهو منزوع الإرادة يتوسط جنديين أطبقا عليه الخناق وقد قيدا معصميه بأغلال من حديد أردف القاتل

ـ "وهذه نفس اللكمة"

(ثم أكمل سرده للأحداث)

ـ الضحية .."بحقك أريد أن أحيا أريد أن أنعم بوطن وأن أشيخ بين أبنائي ...خذ ما تشاء هذا قرطي ..بل هذه بذلتي وبعضا من المال ..خذ هذه بطاقة هويتي وإفعل بها ماتشاء هذا جواز سفري".."

ـ القاتل.. " أنا لا احتاج الى كل هذه الترهات كذلك أنت لن تحتاجها بعد الـ يوم سأرسلك الى عالم قد لا يروق لك لكنّك تستحقه فقط فلتنعم عيناك بهذا المنظرالاخير حيث تختفي الشمس

خلف المحيط لانّك حتما ستختفي مثلها تماما ها هاها "

ـ الضحية "أرجوك .. إرحم توسلاتي لك لا تحرمني من الحياة "..

القاتل" كذلك حرمتني يا أحمق من أغلا شئ يفتقده الإنسان "

ثم أخذت قطعة قماش بيضاء ولففتها على فم الضحية كي لا يتفوه بالمزيد وأ سرعت الخطي بجنون وأنا أدفع الكرسي المتحرك حتى نهاية الجرف وألقيت به وكانت النهاية "

. " لقد رايت البحر يبتلعه في تلذذ ويشكرني حتى أنّي سمعته يقول "هل من مزيد؟"

ـ المحقق" إجلسوه وابتعدوا عنه" "

وبلكمه مشابهة أقسم أنّها جعلتني أرى نجوم الليل داخل المخفر ولم أحسّ إلّا ببرودة تسرى في كامل جسمي فصرت أتنفس الصعداء وكأنّي غريق إنّه سطل من الماء سكب عليّ أعاد لي وعيي حتى سمعت صوت المحقق يقول :

ـ أنت تعلم يا هذا أنّك ميت لا محالة وخصوصا بعد اعترافك بالجرم الشنيع ..فما إسمك أيّها المنبوذ"

ـ القاتل إسمي مجاهد وأعترف بجريمتي وسأقتل الكثيرأمثاله ثم إنّك أخطأت في القول فلست أنا المنبوذ بل أنتم "

المحقق" خذوه الى غرفة التعذيب وأعلنوا أنّه قد فر من المخفر "

فيما هم كذلك دخل جندي أخر يرتدي نفس البذلة ويضع قرط في أذنه يردد كلمات قد أعجز عن فهمها لكونها باللغة العبرية حتى ألفيت واحدا منهم يوجه كلامه للمحقق باللغة العربية

ـ "سيدي لقد أمسكنا بمجاهد القاتل الحقيقي وهو بصدد قتل جندي اخر "

رددت بقهقهات هستيرية ساخرة

"تبا لكم كلنا مجاهدون "

مقبرة الغرباء

فيما كان الكثير ينعم بدفء الأسرة وتحتضنه جدارن متينة تقيه لذعات البرد القارس وصفعاته المتجمّدة وأبواب توصد عليهم لتمنع اصوات الرياح المزمجرة المخيفة هناك وخلف ستارالليل المنسدل يوجد ثلة من الشباب تتستر بظلامه وتتحصن به تنسحب خلسة بين الازقة باتجاه الشاطىء الصخرى بين الفينة والاخرى يلفظ أحد الشوارع شابا يافعا ملثما يجول بنظراته يمنة ويسرة ثم يسرع الخطى وكأنّه على عجلة من أمره

كانت الساعة تشارف على الثالثة والنصف صباحا حين اجتمعت نخبة من الشباب بمختلف الاعمارقرب صخرة كبيرة كان أكثرهم مدثرين بأغطية من صوف بالية وما تبقي منهم فقد ارتدوا معاطف صوفية واعتمروا قبعات شتوية وفجأة سمعوا صوتا رجاليا خشنا يردد

ـ "هل جلبتم معكم معلوم النقل واجرة الرحيل حتى تغادروننا بسلام فكل شئ على ما يرام"

ردد واصف

ـ"كلنا جاهزون فقط دلنا متى يحين موعد الانطلاق؟"

أجابه الرجل بقهقهات ساخرة

ـ"انظرمن حولك يا هذا لقد جمعتكم الليلة لهذا الشأن.وكذلك القارب بانتظاركم خلف ذاك الجرف "

اجابه واصف بنبرة تعجب

ـ" ماذا ؟قارب؟ وهل سيكفينا ؟"

قال الرجل فيما يستمر بالسخرية

ـ" لا ...ستغادرون في باخرة "التيتانيك"... أيها الأحمق هيّا ناولوني الاجرة ومن يتقدم اولا سيجد له مكانا"

طفق الجمع من الشباب يتدافعون أمامه ويسلمونه المال وهم على عجلة من أمرهم كأنما يتزاحمون للصعود الى الفضاء او مشاهدة عرض سيرك

ـالرجل "على مهلكم رجاء دون جلبة انى اخشي عليكم غضب السلطات "

تقدم منه شابا آخر يدعي "جاد" هكذا ناداه أحدهم فسأله

ـ" الن تأتى معنا ؟"

ـالرجل " لا مطلقا معكم القبطان أنور سيوصلكم الى مكان محدد تستطيعون فيه اكمال رحلتكم ثم يعود بالقارب فهنالك رحلة أخرى ليلة الغد "

ـ جاد" قاتلك الله انّما انت حوت كبير ونحن مجبرون على مسايرتك بذاك القارب القديم"

لم يهتم الرجل لكلام جاد وبسرعة أخذ يرص المال في حافظة نقوده ولملم عباءته وصاح يردد للقبطان أنورعلى حد تسميته له

-" لا تنسي موعد الغد ادام الله لنا الشباب اترككم في امان الله "

ثم غاب في الظلام

نزل الشباب الواحد تلو الاخر الى الجرف العميق ليجدوا قاربا قديما قدّ من خشب محركه يصدر صوتا مزعجا اماكنه محدودة لا يتحمل عبء عشرة رجال فيما كان عددهم يفوق ثلاثة عشر شابا من بينهم اربعة شيوخ تراص الجمع في القارب بينما كان القبطان أنور يحمل كشافا بانارة خافتة وقبل ان يهمّ بالمغادرة طفق يعدّهم ويحاول أن يوازن بين جهتي القارب الذى كان بالكاد يحملهم اطفأ أنور الكشاف وجلس بجانب المحرك ثم بدأت رحلتهم نحو المجهول بعد ان أمرهم بالصمت وعدم الكلام

كان كل منهم غارق بتفكيره وسط اغطيته يتأمل أضواء موطنه وهي تشع من بعيد ومن حين لاخر يختفي شعاع النور حتى احس الجميع انهم داخل البحر بعمقه المخيف وسكونه الرهيب فلا شئ يحيط بهم غير الماء والظلام وحرقة في الانفس وتاسف يجاهدون خروج الدمع فيبررون رحيلهم عن موطنهم وعن عائلاتهم وابنائهم بفشلهم في ايجاد لقمة العيش وتحقيق كرامتهم وفي حفظ انسانيتهم ثم يمنون النفس بالآمال وبالمستقبل المشرق الذى ينتظرهم في

الضفة المقابلة فقط هي بضعة أميال وينتهي الوجع ويبدأ الخيروالبشر كسرواصف الصمت القاتل بينهم وقال يهمس لشيخ كان يجلس بجانبه

ـ " بالله عليك يا أبتي هلاّ أخبرتني ما الذي اتى بك معنا؟ وانت في غنى عن هذه المتاعب" أجابه

ـ "يا ولدى ادعى" زيدان" جئت من جنوب البلاد اتصارع مع لقمة العيش من اجل اولادي لاعالتهم وتعليمهم وحين علمت بأمرالهجرة وانّ بها كل الخير والثروة هناك حيث يحتاجون الى أياد عاملة في كل المجالات لم أتأخر.عندما اصل الى الضفة الاخرى سأعمل ليلا ونهارا وألملم مالا وفيرا يكفيني وعائلتي لكن لم انت تحبذ الهجرة؟ فالبلاد تحتاجكم انتم الشباب؟"

ـ" سررت بلقائك انا واصف من الساحل الشرقي للبلاد لقد ارهقتني البطالة واتعبني طول الانتظار ومللت كثرت الوظائف التى لا تناسبني عقليا وجسديا فالهجرة افضل حلا بالنسبة لي ربما اجد وظيفة في مجال تخصصي"

صمت الشيخ زيدان لبرهة ثم قال مبتسما وقد اشار الى واصف بالنظرات

ـ"أظنّ أنّ احدهم قد نام على ما يبدو هو متعب جّدا"

قال واصف:

ـ" يبدو لي ما يزال صبيا صغيرا انّه ملثم خفيّ الملامح ماعدا عينين مغمضتين تبرزان من بعيد فدفء البطانية اغراه للنوم فغلبه النعاس كيف سمح له أهله بان يهاجر؟"

ـ زيدان " اظنه هرب خلسة وهو متخف "

ـ" لكل منّا مشكلته الخاصة "

اردف صوت جاد

ـ "حالما اصل هناك ستحل كل مشاكلى بكثرة المال"

وفجأة اهتزالقارب بقوة حتى هلع البعض منهم وكانت صيحة الصبيّ قوية اضحكت الجميع لذلك ردد شاب آخر في القارب بهزء

ـ"يا جماعة لدينا فتاة صغيرة خائفة. من سمح بصعود الفتيات معنا "

قهقه الشباب حتى خجل الصبي من موقفه امامهم فيما كان أنور يحثهم على الصمت ويدعوهم الى التاهب للنزول فالمسافة باتت قصيرة للوصول الى برالنجاة ازاح العديد عنهم الاغطية وكثرت الحركة والكلام مازال انور يردد

ـ" اصمتوا اصمتوا لا تتحركوا رجاء لا يجب ان نفقد توازن القارب يا جماعة انى اخاف عليكم الغرق ريثما نبلغ بضعة امتاراخرى فالمياه باردة جدا "

لكن لا فائدة ترجى منهم كثرت الحركة والجلبة والحديث وبات القارب يتمايل ذات اليمين وذات الشمال وفي غمرة الضوضاء انقلب القارب ليلفظ

من فيه دون سابق انذار صارت الحركة في البحر شديدة و كان اكثرهم يتخبط في الماء منهم من يجيد السباحة فامكن له مواصلة المسير باتجاه الشاطئ يكابد الامواج ويصرّعلى البقاء حيّا كالشيخ زيدان وانور وغيرهم دون ان يلتفتوا الى البقية فمنهم من طفق يتخبط في مكانه لا منقذ له يبتلع الماء غصبا كلما طلب النجدة لم يستطع واصف الابتعاد اكثر حين شاهد الصبي يمسك فى قاع القارب المنقلب تارة وينزلق منه تارةاخرى ويرتجف من البرد لشدّة تجمد المياه وهو يطلب النجدة اسرع اليه واصف يحاول ان يمسكه ثم طوقه بيده اليسرى من تحت ابطيه و اخبره بان يحافظ على هدوءه ولا يحاول مواجهة الامواج ولحينه بدأ واصف السباحة بيد واحدة يجاهد نفسه ويقوى عزيمته للوصول الى برالامان لينقذ نفسه والصغير لم يستغرق الامر باكمله دقائق معدودات حتى بدأ البحر يستعيد هدوءه وتقلّ فيه الحركة في ذاك المكان المشؤوم لم تكن الظلمة التى تسود المنطقة لتساعد على رؤية اذا ماكان هناك أشخاص أحياء يصارعون الموج ربما قد قدّر لكل واحد منهم ان يسلك اتجاها خاصا فشاءت المشيئة ان تسلك بهم طريقا مخالفا لما رسموه كذلك شاءت الاقدارأن تلقى بواصف ومن تبعه على شاطئ الامان حيث تحسس الرمال تحت قدميه فثبت وطفق يمشي الهوينى وهو يجرّ الصبي الذى أغمي عليه لم تك أبدا هذه ليلة حظّ واصف استلقي بدوره على الرمال يلهث جراء تعب السباحة حتى انّه لم يشعر بالبرد بقدر شعوره السعيد بالنجاة التفت يمنة ويسرة ليجد الظلام يطوق المكان والسكون يعمّ البرية

استدار ثم جلس فيما كانت ثيابه مبللة تقطربالماء تكسوها الرمال انكب على الصبي الممد بجانبه يجس نبضه ويحاول سماع انفاسه وفجأة سعل الصبي وفتح عيناه فلمح وجه واصف قبالته وفوق صدره صرخ بقوة

ـ"ابتعد عني ماذا تفعل..اتركنى.."

ابتعد واصف عنه بسرعة واعتدل جالسا فوق الرمال وردد بصوت هادئ

ـ" أهذا جزائي لاني أنقذتك؟..وانّي اتحقق منك اذا ما كنت جثة هامدة بجانبي تعيق هربي"

نهض الصبي ببطء وطفق ينفض عنه الرمال ومدّ يده فوق رأسه ليجد شعره المبلل منسدلا على الاكتاف اضطرب وكثرت لمساته ونظراته في كل الاتجاهات باحثا عن عمامته ولثامه فلم يجدهما بادر بالبحث عنهما بالجوار اسرع واصف بالقول

ـ" ان كنت تبحثين عن عمامتك فقد ابتلعها البحرعوضا عنك "

أجابت بتلعثم

ـ "أنا ..أنا .."

ـ واصف " لديك الكثير لتوضحيه لي فيما بعد "

الصبية" ليس بمهم فالمهم أين نحن؟و هل وصلنا الى مقصدنا والى الضفة الاخرى؟

استقام واصف واقفا يتأمل البحرالواسع والغارق في الظلمة فقط صوت امواجه يجيب على كم التساؤلات العالقة في ذهنه ردد

ـ" نحن في مقبرة المهاجرين او بما يسمي مقبرة الغرباء ويقصدون بذلك البحر او المحيط لقد نجونا باعجوبة يا فتاة "

ـ الصبية " وأين البقية؟ وهل هذه شواطئ أرضنا أم شواطئ غريبة هكذا استقبلتنا"

رمقها واصف بنظرة الواثق المتمكن :

ـ" في كلتا الحالتين انا موطنك الآن حتى يأتى ما يخالف ذلك أمّا عن البقية فلا أعلم عنهم شيئا للاسف لا يمكننى انقاذ الجميع "

وبينما هما كذلك حتى سمعا صوتا قادما من البحر قريبا منهما يردد

ـ" لم أكن أعلم اننى هرمت لدرجة ان السباحة اتعبتني أم انّ المسافة كانت بعيدة جدا"

ركض واصف قبالته وسحبه قائلا

ـ "الحمد لله على سلامتك يارجل مازلت شابا"

ـ زيدان " تجربة حمقاء ومجازفة خطيرة اعدك بأنّي لن اغادر وطنى ثانية لو مت جوعا "

ـ كلامك يؤكد أننّا لم نصل الى الضفة الاخرى "

ـ زيدان "تماما فنحن على أرض وطننا لقد سحبنا التيار الى الضفة الغربية منه عكس ما توقعنا هيآ ساعدنى على الوقوف يجب ان نغادر الشواطئ حالا قبل انبلاج الفجرفيكشف امرنا "

ساعد واصف زيدان على الوقوف ونادى الفتاة بسخرية

ـ" يا صبي.. أقبل يجب ان نغادر "

أجابته:

ـ "لست صبيا أنا فتاة وأدعي جمانة "

(واصف وهو يهمس لزيدان)

"انها ليلة المفاجآت بات كل شئ عكس التيار حتى الصبي تبين أنّه فتاة "

نداء استفاقة

عندما علم السيّد "منقذ أمين" بالأمرالكارثي من مواقع الرصد الفلكي وأخبار الفضاء .حول أخر تتطور للاحداث على سطح الشمس اذ أمكن للعديد من العلماء أن يقروا بأمرغرق الارض في الظلام لمدة ستة ايام وذلك بسبب عاصفة شمسية مغناطسية هائلة قد يكون الأمر مفاجئا لا يتقبله العقل البشري أو يتجاوز حدود التفكير البسيط لعامة الناس الا انّ هذه الكارثة تعتبر ظاهرة طبيعية تحدث مرّة كل مائتين وخمسين سنة حيث تحتجب اشعة الشمس عن الارض لتحتضن الظلمة اكثر من تسعين في المئة منها ويسفرعن هذه الظاهرة توقف كامل وشامل للتيارات الكهربائية مما ينجرعنه اخلال لبعض التوازن البيئي والطبيعي والانساني لذلك ارتأى السيّد منقذ أن ينشرعبر مواقع التواصل الاجتماعي منشورات ولوائح تستنهض العقول البشرية من ابناء وطنه ويعلمهم بقدوم هذه الكارثه قبل اربعة اشهر قد تكون مدة كافية للاستعداد ماديا ومعنويا.

كانت نداءاته عبر "التويتر" و"الفيسبوك" وموقع "الانستجرام" حازمة ناهيك عن بث مباشر له عبر"اليوتيوب" يكشف فيه عن معطيات هذه الظاهرة وسلبياتها ومحاولة التعايش مع الوضع في الظلام طيلة أسبوع كامل كانت تصريحاته بالصور والمنطق والاقناع بمثابة ملحمة جنّد فيها كل طاقاته لشعبه رغم انّه لم يحظ بمبادرة تشجيعية واحدة تساعده على اكمال نداءه ليصل

حد الارياف و بعض المناطق قليلة السكان لكن مجهوداته أسفرت بتعليقات سخيفة تسخر من قوله وادعاءه لهذه الظاهرة بل الكثير من عدم الاعجاب و النقد اللاذع لحدوث أمرا جنونيا لن يتجسد الاّ في مخيلته معتبرين أنّ ما يتوصل اليه العلماء والعلم الحديث مجرّد خزعبلات لا علاقة لها بالواقع أضف الى أنّ هناك مجموعة من المتدينين اعتبروا كلامه ونداءه تجاوز لحدود القدرة الالهية وكفر للارادة الربانية فكفّروه ونبذو نداءه واستنكروا ادعاءه .

لم يستسلم منقذ أبدا ولم يعبأ لاقوالهم الالكترونية فخرج عبر شاحنته الكبيرة وقد علّق في مقدمتها بوقا وسماعات وطفق يجوب شوارع منطقته يردد:

-"يا قومي أفيقوا واستفيقوا وتبصروا في قولي فوالله انّى أريد بكم الخير والرشاد وانّه بعد أيّام قلائل سيشهد تاريخ البشرية جمعاء ظاهرة فريدة وغريبة من نوعها تجعلنا نعيش الايام ليالي أمّا عن غيرنا فقد تأهبوا لها بشحن بطارياتهم وضبط مولداتهم وجمع مؤنهم لمدة طويلةكما خزنوا الادوية لمرضاهم وتقاربوا ولمّوا شملهم وهيئوا اطفالهم نفسيا لخوفهم من الظلام فان شئتم فافعلوا مثلهم أو خيرا منهم وتأهبوا لذاك الوقت منذ الأن.. "

كانت شاحنته تجوب الانهج والازقة ليلا ونهار لكن في هذه المرة كان معه عددا لابأس به من الشباب يعينونه لاكمال نداء الاستفاقة فيما بقي اكثر من ثلثي شعبه لا يأبه لكلامه وادعاءاته الباطلة حيث لا يوجد ظلام يغرق الارض الا ما شاء الله . لم يطل الأمر كثيرا حتى أحسّ السيّد منقذ أمين أنّ

مجموعات من الشباب ذوى العقول المستنيرة تدعمه وتسعي الى دفع الناس لشراء مؤنهم وأدويتهم وبطاريات متنوعة والكثير من علب الشمع والكشافات الكبيرة كان ذلك في تمام الساعة السابعة صباحا عندما رنّ منبه منقذ فيما يزال مستلق على الفراش يفتح جفنيه في ثقل محاولا النهوض والذهاب الى معمله ومقر رصده للاجواء الطبيعية والاحوال الجوية فرك عينيه عديد المرات لكن لم يرى شيئا ردد بصوت الحائر.

ـ" هل أخطت في تحديد الساعة ؟أم أنّ المنبه أصابه الجنون ؟ فالليل ما يزال يسدل ستائره"

اعتدل جالسا فوق سريره يفرك عينيه مجددا:

ـ" اظنّنى أصبت بالعمى ماهذه الظلمة كلها ؟ "

سرعان ما تحسس درج الطاولة بجانبه ثم فتحه وأخرج منه كشافا صغيرا واناره ثم مد يده اليسرى يجلب هاتفه الجوال ثم طفق يشغله لكن لا شئ يعمل ولا اشارة به فقط يعمل الكشاف وضعه جانبا حينها علم بالامر المحتوم وخاطب روحه بتعجب :

ـ "غريب ليس في مثل هذا اليوم تبدأ الظاهرة لقد استعجلت كثيرا أيّتها العاصفة بحجب شمسنا "

استقام واقفا ببجامته محاولا الاتجاه الى الدولاب ليرتدي قميصا وسروالا حتى تناهى الى مسمعه اصوات استغاثة نسائية وبكاء اطفال من بعيد اقترب

من الشرفة وفتحها وكان الكشاف في يده أنار الظلمة أمامه ووسط الطريق ليجد حركة غير عادية لبعض للمارة وبضجيجهم يتحسسون الطريق خاطبهم السيد منقذ بصوت عال وهو يضحك:

-"أرى أنّكم ظللتم السبيل "

رفع أحدهم رأسه الى شرفة منقذ بعدما سطع في وجهه ضوء الكشاف وردد

-" أنقذنا سيّد منقذ انّه الظلام يأسرنا في مكان واحد بعدما كان ضوء الشمس ينير دربنا"

أردف السيّد منقذ قائلا بنبرة سخرية:

-"وماذا تفعل في مثل هذا الليل؟"

ردّد الرجل من بعيد:

-"لم يكن ليلا منذ وهلة كان الضياء ونحن عائدون من المقهى"

قال منقذ:

-" حسنا ابقوا أماكنكم سأوافيكم حالا "

(طرقات على باب شقة السيّد منقذ واصوات متداخلة)

-"النجدة سيّد منقذ نريد انارة "

صوت شاب آخر :

ـ"سيّد منقذ كلامك كان صحيح وهذا هو يوم الكارثة"

ثم صوت نسائي:

ـ"أنا أخاف الظلام وليس لدي طعام"

ردد السيّد منقذ بصوت مرتفع تعلوه نبرة استهزاء

ـ " لم تأبهوا لنداء الاستفاقة وها أنا استمع لنداء الاستغاثة منكم فهل أخرج لكم بالبجامة أم ارتدي بدلة راقية؟؟"

نقطة التقاء

ـ رفيدة. ".سيد برهان صدقني لقد كان ذلك أشبه بالخيال أو الجنون "

ـ برهان"..لا لا ابدا هذا مستحيل يا أنسة هذا الفندق منتصب منذ عهود ولا أحد تجرّأ بقول الترهات عنه فلنا والحمد لله سمعة جيّدة منذ أمد "

ـ رفيدة..." والله ما كنت لأشكك في كرم ضيافتكم ولا نبل أخلاقكم ونظافة موردكم ورحابة إستقبالكم لكن الامر بات لا يحتمل فكأنني لست أنا ..فقط ركزفي قولي :

وأقبل معي الى الغرفة "

ـ برهان..." رجاء هذا يكفي إن شئتي تمديد إقامتك معنا مرحبا وإن قررتي الرحيل فسلاما منا دون أن تسيئي لسمعة الفندق"

وبينما هما كذلك يتناقشان من خلف البار الرخامي الممتد بشكل دائري داخل قاعة الاستقبال الفسيحة إذ أقبل صوبهما شاب يردد

ـ"رجاء اريد غرفة و.معذرة لقد لا حظت نقاشكما فهل من خطب"؟

ـ برهان ..."لا لا سيدي كل شئ على ما يرام "

ـ رفيدة ..." بل في الفندق غرفة مسكونة او هي اشبه بغرفة للاشباح"

ـ برهان....."هاقد عادت لقول الترهات يا سيدي لا يوجد شئ هنا وانت يا أنسة ارحلي فقد تم دفع حسابك"

)يقترب الشاب من الفتاة يصافحها ثم يهمس قائلا(

ـ" انا الكاتب .."ناصف ايوب".. ومثل هذه الحكايا لا تقال علنا وليس امام الكل دعيني استضيفك لفنجان قهوة اخبريني بالتفاصيل فأنا جدّ مهتم بالحكاية "

لحينها طفقت رفيدة تروي ما حدث لها في غرفتها " ٢٠_٢٠ "منذ حلولها قبل يوم كانت الامورتجرى برتابة وروتين لكن بعد ذلك لاحظت وجود ارواح بل كأنّه شبح يشبهها تماما في الشكل والهيئة بدا الامر مدهشا ولا يصدق الى حين انّه تكرر لاكثر من مرة فاحيانا تجد نظيرتها في الحمام تستحم او مستلقية على سريرها واحيانا اخرى تمشط شعرها امام المرآة وفي كل مرة كانت رفيدة تطمئن نفسها بالقول" ربما تكون قرينتها من الجن أو انّها روح تعود الى الغرفة بعد مقتلها الى أن حدث ما لم يكن في الحسبان حيث نطق هذا الشبح وبات يحكي مع روفيدة فقد اخبرتها انها بمثابة صورة لها مماثلة في الشكل قادمة من عالم آخر موازي لعالمنا وما هذا الفندق الا نقطة التقاء للعالمين قد يكون الامر مستحيلا لكن بات الان جليّا و الغرفة بوابة هذا العالم لذلك حين تلمح اشخاصا معها توقن تماما انهم قادمون من العالم الموازي فقط يبحثون عن اشباههم ليتقمصوا ادوارهم ويتبادلون العوالم لذلك مهما حاولت رفيدة اقناع صاحب الفندق بان الحدث بات لا يستهان به

لتكراره ينهرها وفي اخر مرة نعتها بالمجنونة التى تعاني انفصاما في الشخصية واليوم يريدها ان تغادر دون رجعة ودون كشف الغموض .

وقف ناصف من مكانه بعد أن تناول رشفة من فنجان قهوته وردد

ـ" هيا بنا الى الغرفة اريد استطلاع الأمر ".

أردفت رفيدة:

ـ" حتما سيكون تصرفك مثلما فعل صاحب الفندق حين دخل الغرفة اول مرة"

ـ "وماذا فعل؟ أخبريني"

ـ" لا شئ عدا قوله انّ الغرفة آمنة ولا يحق لي ان اخبر احدا فالامر عادي "

ـ " أنّي أخشى شيئا آخر "

ـ "كيف ذلك؟ لم افهم قصدك"

ـ "كل الغرف شبيهة بغرفتك لان الفندق اساسا نقطة محورية وكل الموجودين فيه صور معاكسة:

ـ" حتى صاحب الفندق"؟

ـ "ربما أنت ايضا "

ـ "لا أبدا ما كنت لأخبر أحدا ثم قولى بالله عليك ربما تكون أنت نفسك شخص غيرك "

ـ "لقد قدمت الساعة الى الفندق قصد كشف الغموض"

ـ"ومن اخبرك ؟"

ـ"انت.. حين قرأت تعليقا لك في موقع التواصل الاجتماعي تخبرين فيه الجميع ان الحياة مجرد تناسخ للاشخاص وان الاشباح موجودة بيننا علمت لحيني انه يتوجب عليا مكالمتك لذلك لا حقتك "

ـ "اذا انت تصدقني"؟

ـ " ليس قبل أن اصعد الى الغرفة ..ضعي فنجان القهوة وهيا بنا " .

هلوسات

نهض باكرا كعادته وازاح عنه اللحاف ثم استدار ليجدها تغفو بجانبه

سحبها من يدها واجلسها على الكرسي الخشبي رغما عنها وطفق يردد

ـ "هل عليّ في كل مرة ان اعلمك ان موعد تناول الفطور قريب يجب ان تتعودي على ذلك انهضي باكرا فموعد المدرسة قرب"

ثم ابتعد عنها الى حافة السرير حيث اخذ من فوقه مشطا صغيرا واتجه نحوها وهو يكمل تأففه قائلا:

ـ "كذلك امشّط شعرك وكأنّك طفلة صغيرة ..انت حقا تدركين ان امك تعمل طوال الليل ولن تعود قبل الساعة الثامنة صباحا فعملها مرهقا حقا كطبيبة لذلك يتوجب عليك ان تعتني بنفسك منذ اليوم "

طفق يسرح لها شعرها الذهبي الناعم بعناية ثم شده الى الوراء على شكل ظفيرة فيما كانت هي مطأطأة راسها لا تجيبه فقد اختارت الصمت فهو على هذه الحال كل يوم لقد تعودت منه التذمر وما عساها تقول وهو يسرع في القول والفعل معا ها قد انتهي من تمشيط شعرها ثم جلب لها ميدعة وردية صغيرة تناسب سنها والبسها اياها ووجهه مشرق تعلوه الفرحة ردد:

ـ "حقا انك تشبهين امك لكنك نسخة مصغرة منها لطالما احببت فيها شعرها الذهبي وعيناها العسليتين احببت فيها ضحكاتها ولطف طبعها وحلو منطقها واعتناءها بي وببيتها وبك لتجعل منك عروسا كل يوم.."

ثم صمت برهة وصرخ يبكي :

"..لا ..لا.. لم.. انا ؟"

فجأة طرق باب الغرفة وصوت يردد من خلفه:

ـ "الافطار سيد رامز .."

مسح رامز دموعه التى سرعان ما جفت وعدل من هندامه وتقدم نحو الباب يفتحه حيث حانت منه التفاتة الى الصغيرة قال

ـ" ألم أقل لك انه موعد الافطار؟ لقد تأخرنا هيا اعتدلي في جلستك وابتسمي "

فتح الباب.. ليلج الى الداخل رجل يحمل في يده صنية ويضعها فوق الطاولة مقابل الفتاة ثم يخرج مسرعا فيطبق رامز وراءه الباب بقوة

ـ رامز " لن اسمح لاي شخص ان يراك او يأخذك منى او يأخذ أمكّ"

جلس امام الطاولة المستديرة وبدأ يتناول فطوره ولم يكف البته عن الكلام

ـ"اعرف ان الطعم لا يروق لك لكن لا بأس حالما تعود امك ستصنع لك كعكتك المفضلة "

كانت المسكينة تحدق في الطعام دون ان تحرك ساكنا وحين انهي الاكل ازاح الكرسي الى الخلف بعد ان مسح شفتيه بمنديل ابيض

في الاثناء طرق الباب للمرة الثانية وفي هذه المرة كان الصوت من الخارج يردد

ـ "موعد اخذ الدواء سيد رامز والتنزه في الحديقة "

ـ رامز " حسنا اعلم ذلك ادخل "

دلف الرجل ويبدو من خلال هيئته انه ممرض يدفع عربة مليئة بالادوية وناول السيد رامز ثلاثة اقراص من الحبوب وكوبا من الماء واشار اليه قائلا

ـ "تستطيع الان الخروج"

استقام رامز واقفا ومدّ يده يعدل ربطة عنقه الخيالية وعدل في بدلته وردد بصوت المتفاخر الارستقراطي

ـ "سيد انور رجاء اصطحب صغيرتي الى المدرسة فأنا لدي اشغالي ومعاملاتي .." وغادر .

التفت السيد أنور الى الصغيرة وقال وهو ينوى مغادرة الغرفة أيضا

ـ " صدقا اخشي في نهاية المطاف أن تنطقي وتتكلمى رغما عنك أو أن أجن ....فان كان ذنبي انني اخترت الوظيفة الخطأ داخل مشفي الامراض

العقلية فماهو ذنبك وانت دميه صغيرة لا روح فيها فقط تصغي لهلوسات مجنون"

اعترافات في ليلة الزفاف

فيما كانت تجلس على حافة السرير مرتدية فستانها الابيض وهي بأبهي حلّتها جميلة كالسندريلا .سحب كرسيا من ركن الغرفة وجلس قبالتها وبكل هدوء فك ربطة عنقه وفتح ازرار سترته ثم وضع الساق على الساق ورمقها بنظرة لا مبالاة قاتلة ثم طفق يردد:

ـ" اصغي اليّ جيّدا أيتها الجميلة وقبل اي شئ سيقال وسيفعل وبعيدا عن صخب الحضور وضوضاء الجمع من المنافقين والمتسلقين والمحبين للمظاهر يجب أن نتفق في اول ليلة لنا معا حتى نكون على بيّنة من أمرنا ساعترف لك بأمور قد لا تعجبك وتقلقك وقد تثيراعصابك ولا تروق لك ربما تجعلكي تكرهينني وعلى الارجح قد تصيبكي بالجنون وربما تجعلكي تعيشين كوابيس اشبه بالجحيم "...

بالكاد نظرت اليه وارادت ان تقول كلمة حيث فتحت شفتيها بلون الفراولة لكنّه سارع بالقول و قاطعها :

ـ "لا تتفوهي بكلمة واحدة فمازلت لم أخبركي بشيء ولا يزال الحديث باوله ثم انني لا أرى من داع لكلامك .فأنا لم ا تزوج بك عن حب ولا عن اعجاب وايضا لا يوجد تعلق بيننا ولا حتى علاقة قرابة اوصداقة فقط هي مجرد اجراءات روتينية لزواج تقليدي يرضي جميع الاطراف واولهم والدتى (ادامها الله) وليس فقط عائلتك من ابتغوا هذه الزيجة انما تربطنا مصالح

مشتركة وملفات واموال وعقود بين شركتينا تماما كعقد زواجنا ينص على الشراكة اضف الى كونه لم يجرؤ أي شاب على الارتباط بك ربما لأنّك متعجرفة ومغرورة وحتى متعالية"

لحينها اعتدلت واقفة لكنّه وقف قبالتها حيث امتدت يداه الى كتفيها وبقوة أجبرها على الجلوس قائلا بنرة قاسية:

ـ "اجلسي لا ابتغي منك قولا ولا ردة فعل حتى انهي حديثي يا سيدتى لقد ارتبط اسمك الليلة باسمي فنلتي شرفا عظيما طالما تمنته اخريات وسيكون ذلك فقط حبر على ورق فلتعلمي انى لا احبك لذلك لا تطلبي منى اهتمام ولامراعاة و لاتذكريني بواجباتى ولا بحقوقي فلا تسأليني لم أغادر ومتى أعود ومع من اكون وكيف اتصرف وماذا ارتدي ومتى أنام او استيقظ وما ذا يعجبني؟ لا أريد منك شيئا تماما مثلما انت لن تطالبيني بشئ حتما لا اهتم لأمرك فلا تقلقي نفسك في التفكيربي او السهرمن أجلي .."

طأطأت راسها وتنهدت بعمق ثم حبست انفاسها وكأنها تحاول ابتلاع غصة حارقة فيما اكمل حديثه:

ـ"ثم اني أرغب بالزواج من امرأة ثانية وحتى ثالثة لم لا افعل؟ فهذا حقي الشرعي والقانونى مادمت قادرا فلا تعجبي ان كنت غدا ضمن المدعوات لزفافي ذلك كرم منى لحسن معاملتي لك"

بعد سماعها هذه الكلمات السليطة والتى كان وقعها أحدّ من السيف انهمرت منها دمعتان دون قصد بعد ان جاهدت في كبتهما امامه رفعت يدها وبأنامل شمعية حاولت مسح الدمعتين عن خد اسيل قبل أن يلحظ انهمارهما مازالت تحس انّ بداخلها قوة وتجلّد يجعلاها تحمى كبرياءها المطعون ففي مثل هذه الليلة لم تكن لتتوقع ان تتلقى وابلا من الكلام الجارح ينغرس بين الضلوع مع دموع حارقة بعد فرح وضحك ومرح

اردف قائلا:

ـ " ماذا بك ارفعي راسك هل ما اراه دموع ؟ام انّك تمسحين الكحل والتبرج لتظهر لي صورتك الحقيقية وليست المزيفة "

أومأت برأسها للاجابة بنعم فيما اكمل شروطه واملاءاته المجحفة والجنونية مرت نصف ساعة وهو يجلس قبالتها بحديثه المطول فجأة قالت بصوت عذب متسائلة:

ـ " هلا امكننّي الان تغييرفستاني ؟"

ـ أجابها بامتعاض.

ـ "ابدا لم يحن موعد اطلاق سراحك ومازال في جعبتي الكثيرمن الاعتراف"

نظرت اليه باستغراب ودهشة ثم رددت:

ـ "هل من مزيد؟ و هل يوجد أكثر من هذا اعتراف؟"

اردف قائلا:

ـ" بالتأكيد ..."

استقام واقفا وقد اخرج من جيب سترته علبة سجائر كوبية وقداحة ذهبية غالية الثمن بعد ان خلع سترته ووضعها على التخت اشعل سيجارته ووضع العلبة فوق طاولة التزيين ثم طفق يمشي جيئة وذهابا بوقع حذائه الفاخرينفث دخان السيجارة في فضاء المكان و بين الفينة والاخرى يضع رماد سيجارته في المرمدة وبطريقة فجائية توقف قبالتها ثم انحي يهمس لها فارعبها بهذا السلوك قائلا:

ـ" ألم يخبرك من يشتغل معي بنفس الوظيفة أنّي لص محترف لا أخشي السجون ولا أرهب الموت املك قلبا متحجرا وروحا لا تستسلم للفشل تعاند الاقدار فحياتى على كف عفريت قاتل ومع ذلك أحب المغامرات ولا اخشي المحن ارنو للمستحيل واطلب العلا بطرق تناسبني قد ابدو في ظاهرى رجلا ثريا انيقا وشابا مثقفا متمكنا بل ذو خلق واخلاق ارستقراطي الطلة سلس في معاملاتي حازم وقت الجد انّما باطنى هو حقيقتي مرآة عاكسة خفية الملامح مسيطرمتجبرمن يقف لمجابهتي يكون الموت مصيره الفعلي "

ابتعد عنها بضعة خطوات وظل يبرز خصاله بين مدح وهجاء فيما شردت بافكارها بعيدا عن اعترافاته الصادمة ونفسها تحدثها بأنها وقعت في جب عميق وتسألها عن حقيقة هذا الرجل أتراه قاتل مأجور أم سفاح بسيف مسرور

بل هو لص ومحتال هارب من العدالة يالها من ليلة تاريخية وخيبة امل لا تصدق ظنت انّها تزوجت من شاب ذو مكانة مرموقة في المجتمع بفكر ناضج وروح مثقف ليكون زوجا صالحا وابا حنونا لكن ما خفي كان أعظم ليتها لم توافق على الزواج منه وليت العائلتين لم يلتقيا و لم يتعارفا حتى يولد هذا الزواج اللعين.. ليت الزمن يعود فقط للحظات...

قاطع حبل افكارها المسترسل بنبرة حادة وكأنه قرأ ما بداخلها وعلم خفايا روحها وأسرارها:

ـ" تبا ..لا ينفع الندم الان ولا التراجع كان الاجدربك ان تسألي عني او تتقربي منى لربما اكتشفتي امورا خفية وازحتي القناع عن وجهي لتتاملي بشاعة تصرفاتي وحبي لذاتي اسمعي يا جميلتى قد يسبب لك كلامي هذا الكثير من التوتراوالرعب لكنّي لاأرغب بان تمضي الامور حسب مسارها الطبيعي بل على العكس تماما اريدك ان تعرفي حقيقتي السوداء وتاريخي المظلم القاتم المليء بالذنوب والشرور مذ كنت طفلا يحبو حتى لا تكتشفي ذلك بعد مرورعشرسنوات من زواجنا حيث لا ينفع الندم فلا شئ يجبر ما انكسر فانا لست رقيقا بقدرما انا وغد حقير "

اتجه بعد ذلك صوب باب الشرفة وفتحه فقد احس بحرارة تسرى في عروقه لكن هذه المرة ارتأى ان يفتح ازرار قميصه كاشفا عن شعر كثيف وقف قبالة الشرفة يضع يديه في جيب بنطاله من الواضح انه لم يكن من الهين عليه البوح بهذا الكم الهائل من الاعترافات كانت تسترق النظرات اليه وقد وقع

في قلبها الخوف والذعر بما اخبرها لكن في لمحة خاطفة جذبتها موجة من الاغراء والاغواء ترددت قبل ان تتكلم ثم تلعثمت قليلا واردفت بشجاعة مصطنعة:

ـ"أخشي ان تخبرني بعد قليل انك مصاص دماء او أنك من الموتى الاحياء تأكل لحم البشراو قاهرنساء بل أكثرما أخشاه ان تكون هتلر قد فرّ من الحلفاء ومع ذلك يا سيدي فأنا بت زوجتك ولا تعنيني اعترافاتك ولا ماضيك بقدرما يعنيني حاضرك ومستقبلي معك "

استدار اليها وقد لمعت عيناه من فرط الدهاء وشدّة الذكاء انّها لمعة شيطانية تحمل في قراراتها نية مضمرة وترصّد مسبق :

ـ قال" جميلتي من لا ماضي له بالتأكيد لا حاضر له امّا عن المستقبل فنحن لا نعلم الغيب فقط أردت أن أنير لك طريق المستقبل بمصابيح الماضي ربما لا يروق لك العيش معي تحت سقف واحد في ظل هذا الكم من الاعترافات. أو تخافيني وترهبي المكوث بجانبي ."

رددت بصوت ناعم:

ـ "وان يكن كلنا خطاؤون ومذنبون في حق انفسنا قبل ان نذنب في حق غيرنا وأنّي لأري فيك جانبا مشرقا باعترافك هذا كما أنّني لا أنكر شيئا من الخوف الذي يجتاحني والبعض من القلق يغمرني لكن في نهاية الأمر تشدنا المشيئة

الى الطريق الصواب وتظل التجارب مجرد امتحان ففي داخل كل منا جانب من الخير"

اجابها :

ـ"لا أحد يختار قدره وبما أنّك قدري أتمني أن تأخذي كلامي على محمل الجدّ وتدركي ما انت مقبلة عليه وسأترك لك مجالا للتفكير الى يوم الغد علّك تتراجعين والان اذهبي لتغيير ملابسك واستريحي من صخب هذه الليلة"

ـ"وماذا عنك؟

ـ "أرى أنّك تناسيتي أو لديك زهايمر وسبق وأخبرتك أنى لا أهتم لأسئلتك فافعلي ما أخبرتك به ولا شأن لك بي"

ثم خرج وأطبق الباب خلفه.

نبذة عن المؤلفة

الاسم: جيهان دانيال

. المستوى الدراسي الاستاذية في اللغة العربية وآدابها

. الجنسية تونسية

. كلية الاداب والعلوم الانسانية بالقيروان . تونس

. مدققة لغوية في مجلة يولاند ..ومؤسسة الفنك الثقافية

أعمال سابقة:

_مجموعة خواطر بعنوان "ترانيم الحياة"

_ ومجموعة قصص قصيرة:

)شبح منتصف الليل ..رجل في الزحام...جنون امراة شرقية...مجانين لكن ظرفاء..."سيّد الفصول. "عودة الماضي". دعوى ضد مجهول ".رحلة نحو المجهول " نقطة التقاء" اعترافات رجل بريء." القفز على الخوف ".ويورق القلم" أنفاس باردة".."صفقة مع الشيطان.."نداء استفاقة "..."الهدية الملعونة".مقبرة المهاجرين.." ليست صدفه لكنه القدر.." حين يستيقظ لامل

الدولاب.."اعترافات زوج.." يولاند ارض المعجزات".. "دمي دموعي وعرقي"

سلاطين وشياطين " غموض في مصر القديمة ")

_ مجموعة من الروايات: "حب في زمن آخر" "جونسيل" "اللوحة العجيبة" "عشق الغجرية" تذكرة رجل مسافر" "عناية الأقدار" تهريب آثار.. " "شمعة مانيسا" .. "على حافة الصمت "للحب وجه عابس" " أنفاس باردة " منعرج الموت" "ثورة في كتاب".. "كبرياء عشق.."

-رحلة نحو المجهول_ قصة طويلة_ دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني

-_ اللوحة العجيبة _ دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني

-

الفهرست

أشباح الشاليه ٤
الـدولاب ١١
الزائـرون ٢٤
القفز على الخوف ٣٣
تهريب آثـار ٤١
ثلاجة الموتى ٥٥
جلسة استحضار ارواح ٦٢
جنـــون امرأة شرقـــــية ٦٥
شبح منتصف الليل ٨٩
عودة الماضي ٩٤
للحب وجه عابس ١٠٧
مجـــــاهد ١٢١
مقبرة الغرباء ١٢٥
نداء استفاقة ١٣٤
نقطة التقاء ١٣٩
هلوسات ١٤٣
اعترافات في ليلة الزفاف ١٤٧
نبذة عن المؤلفة ١٥٤